

العلماء الأندلسيون وعقيدتهم في النبوات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٢) .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

أما بعد، فقد دخر التراث الأندلسي بكثير من العلوم والمعارف في شتى الفنون، واهتم العلماء الأندلسيون بذلك التراث وأولوه جل وقتهم وفائق عنايتهم، فأنتجوا نتاجاً عظيماً لا يزال يشع نوره على

الدكتور :
خالد بن
ناصر
الغامدي*

* بكالوريوس من
كلية الدعوة
وأصول الدين
جامعة أم القرى
١٤١١هـ .

- ماجستير في
العقيدة والمذاهب
الماصرة من
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية
١٤١٨هـ .

- دكتوراه في نفس
التخصص
والجامعة نفسها
١٤٢٣هـ .

- يعمل الآن استاذاً
مساعداً في
قسم العقيدة في
كلية أصول
الدين بجامعة
الإمام محمد بن
سعود الإسلامية .

- (١) سورة آل عمران، الآية : ١٠٢ .
(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٧٠ .
(٣) سورة الحجرات، الآية : ١٣ .

البرمجة

السنة العاشرة

العددان : السابع والثامن والثلاثون

ربيع الأول - جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ

أبريل - يوليو ٢٠٠٧م

العالم، وعلى رأس ذلك التراث الشرعي، فلا تجد عالماً - على الأغلب - مهما اختلف فنه وتخصصه إلا ولديه حصيلة شرعية كبيرة، وله بعض المشاركة والتأليف في العلم الشرعي.. إذ العالم في زمانهم لا بد أن يكون قد حفظ القرآن في صغره ودرس علم الشريعة، فهو في نظرهم أشرف العلوم وأعلاها - وكل علم لا بد أن ينبثق منه - لبحثه في الله وشريعته واليوم الآخر وما يتعلق بذلك، وشرف العلم بشرف المعلوم.

ذلك وعي الأندلسيين أيام أن كانت الأمة الإسلامية أمة عظيمة فاتحة تفرض عقيدتها وشريعتها على العالم. ومن ذلك العلم الذي لا غنى ولا محيص عنه علم النبوات والرسالات وما يتعلق بها، فهو ركن ركين لا يتم إيمان وإسلام المرء إلا به، ولهذا الركن واجبات وآداب حتمية على المسلم الإيمان بها والانقياد لها، وفي الوقت ذاته حقوق مترتبة عليه. وبما أن أهواء البشر لا حصر لها، فقد وقع الانحراف في هذا الركن وانحرف كثير من الناس في الإيمان به من المغالاة فيه والتفريط أو اجتزائه أو إيقاع الشبه حوله. ولذا تكلم الأندلسيون عليه في كتبهم، ووطدوا أركانه ورسخوا دعائمه وقضوا فيه بما شرعه الله على لسان أنبيائه رادين بذلك على المنحرفين فيه أو الشاكين المترددين المبطلين لحقيقته.

منهج البحث:

وقد حاولت جهدي واستفرغت طاقتي لتلخيص أهم ما تكلم به بعض أشهر علماء الأندلس حول هذا الركن الركين، وسأعرف بكل عالم منهم وردت له أقوال بتعريف موجز في أول موضع يرد له، كما أنني سأورد أهم ما تكلم به هؤلاء العلماء في باب النبوات، إذ المقام لا يتسع لاستيعاب جميع ما تكلموا به في هذا الباب، وفي بعض الفصول والمباحث سأورد قول عالم أو اثنين أو أكثر بحسب أهمية المقام وتوافر أقوال العلماء فيه، ومن ثم الترجيح بين الأقوال إن اقتضى ذلك.

وقد أردت أن يكون هذا البحث بعد التوكل على ذي الجلال في كل حالة في مقدمة وثلاثة عشر فصلاً وفهارس .

وقد استغرق مني إعداد هذا البحث بضعة أشهر متواصلة وأحمد الله عز وجل وأثني عليه بما هو أهله وأشكره على تعداد نعمائه وفضله، كما أشكر كل من أعانني فيه بأي نوع من الإعانة، وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

الفصل الأول : تعريف النبوة :

تكلم العلماء الأندلسيون على معنى النبوة واشتقاقها من اللغة، إذ أنها بلفظها تدل على معناها، فهي إما من النبأ والنبي كذلك ينبئ عن الله، وإما من الارتفاع وعلو الشأن والنبي كذلك، وإما من الطريق والنبي كذلك طريق الحق ودال إلى الطريق القويم إلى الله.

وذكر ابن عطية^(١) أن لفظ النبي عند أهل العلم على ضربين، منهم من جعله بالهمز، ومنهم من قرأه بتسهيل الهمز.

(١) هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام المحاربي. تربى ابن عطية في بيت علم وفضل؛ فوالده أبو بكر بن عطية من العلماء المرموقين والفقهاء الحفاظ لحديث النبي ﷺ، فلا عجب أن يخرج هذا الابن العلامة من ذلك الفقيه المحدث، ذرية بعضها من بعض، أما ولادته فكانت في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (٤٨١هـ). كان عبد الحق فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والنحو والأدب، مقيداً حسن التقيد (حسن الخط) له نظم ونثر، ولي القضاء، وكان غاية في الدهاء والذكاء والتهمم بالعلم، سريّ الهمة في اقتفاء الكتب توخى الحق وعدل في الحكم، وأعز الخطبة. قلت: وهو من العلماء العاملين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وله مشاركات في الجهاد والرباط. روى عن أبيه، وأبي علي الفسائي والصدفي، وأبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي المطرف الشعبي... وغيرهم .

قال: «فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر واسم فاعله منبئ، فقيل: نبئ بمعنى منبئ»^(١)، وقال فيمن قال بالهمز: "واختلف القائلون بترك الهمز في نبئ، فمنهم من اشتق اشتقاق من همز، ثم سهل الهمز، ومنهم من قال: هو مشتق من نبا ينبو إذا ظهر، فالنبي الطريق الظاهر، وكأن النبي من عند الله طريق الهدى والنجاة»^(٢).
وبنظير هذا القول عرف الإمام القرطبي المفسر ابن فرح^(٣)، ولعله اقتبس من

== وقد روي عنه جماعة منهم: أبو بكر بن أبي حمزة، وابن حبيش وابن حكمة .

أما أهم مصنفاته فهو كتابه في التفسير المسمى «بالمحرر الوجيز» فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار. وألف "برنامجاً" ضمنه مروياته، وأسماء شيوخه وجرز وأجداد".
توفي رحمه الله في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة (٥٤٦هـ). انظر (الإحاطة ٥٣٩/٣. سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٩ (٣٣٧). نفع الطيب ٥٢٣/٢. الإحاطة ٥٣٩/٣).

(١) المحرر الوجيز ٣٢١/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٢١/١، ٣٢٢ .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، وفرح بسكون الراء، الأنصاري الخزرجي المالكي. قال المقرئزي كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة.. وفي تاريخ الكتبي: كان شيخاً فاضلاً، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه، ومنها (تفسير القرآن). (ملح إلى الغاية)، اثنا عشر مجلداً .

سمع الإمام القرطبي شيخه الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، صاحب المفهم في شرح مسلم، وحدث عن الحافظ أبي الحسن علي بن محمد اليحصبي، وعن الحافظ أبي علي الحسن البكري وغيرهما .

وقال عنه الذهبي: «إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور عقله وفضله»، أما أهم مصنفاته، فهي كثيرة ومنها: الجامع لأحكام القرآن (في التفسير)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة في أمور الآخرة، التذكار في أفضل الأذكار، وغيرها من المصنفات . توفي رحمه الله بمعية ابن خصيب ليلة الإثنين التاسع من شوال سنة (٦٨١هـ) ودفن بها .

==

ابن عطية، وذهب إلى الأقوال: «فأما من همز فهو عنده من أنبأ إذا أخبر»^(١).
و«من قال هو مشتق من نبا ينبو إذا ظهر فالنبي من النبوة وهو الارتفاع،
فمنزلة النبي رفيعة، والنبي بترك الهمز أيضاً الطريق فسمي الرسول نبياً لاهتداء
الخلق به كالطريق»^(٢).

ورجح في موضع آخر أن النبي من الإنباء فقال: «فإن معنى نبي أنبأ عن
الله»^(٣).

وذكر أبو العباس القرطبي^(٤) القولين ولم يرجح، قال: «والنبوة مأخوذة من
النبأ وهو الخبر، فأصلها إذن الهمز، ثم سهلت كما سهلوا خابية وهي من خبأت .

== انظر : نفع الطيب ٢/ ٢١٠. الديباج المذهب ١/ ٢١٧). طبقات المفسرين للحافظ شمس
الدين محمد بن علي، ص ٩٢ : تحقيق علي محمد عمر - ط ١ - مصر : مكتبة وهبة،
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م . طبقات المفسرين للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١/ ٢٤٦ :
تحقيق علي محمد عمر - ط ١ - القاهرة : مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ . كشف الظنون عن
أسماء الكتب والفنون . مصطفى القسطنطيني الرومي ١/ ٢٨٢، ٣٩٠ - بيروت : دار الكتب
العلمية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٣١.

(٢) المصدر السابق ١/ ٤٣١.

(٣) المصدر نفسه ١٢/ ٨٠.

(٤) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري. اشتهر بابن المزين. من أعيان فقهاء المالكية.
نزل الإسكندرية وتعلم بها. كان من الأئمة المعروفين بالفقه والحديث والعربية، وله كتاب على
صحيح مسلم أجاد فيه وأفاد، سماه المفهم، واختصر البخاري ومسلم وغيرها. ولد سنة
٥٩٨هـ أو ٥٧٨هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة ٦٢٦هـ أو ٦٥٦هـ. انظر : الديباج المذهب ١/ ٤،
٦٨. نفع الطيب ٢/ ٦١٥. التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد
القوي ١/ ١ / ٢٤٨: تحقيق بشار عواد - النجف : مطبعة الآداب، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، و -
ط ٢ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

وقيل هي مأخوذة من النبوة^(١)، ولعله لما ذكر الثاني بصيغة التضعيف أنه لا يميل إليه، والله أعلم.

الفصل الثاني : حكم الإيمان بالنبوة :

من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة أن الله تعالى بعث الأنبياء والرسل وأوحى إليهم العلم ليعلموا الناس ويهدوهم إلى طريق مستقيم. وقد نطق بذلك كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ كما ورد في حديث جبريل^(٢) وغيره.

ومن هذه الأدلة انطلق علماء الأندلس في تقرير عقيدة الإيمان بالنبوة والأنبياء. ففي رسالة أبي عمرو الداني^(٣) ذكر يرحمه الله: «فصل في الإيمان بكل ما

(١) المفهم لما أشكل من تخلص مسلم ٨٨/١

(٢) رواه مسلم (١) كتاب الإيمان (١) باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ١، ٣. وابن منده في الإيمان ١٢٦/١، رقم: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨. وأخرج بعضه أبوداود ٢٢٤/٤ كتاب السنة، باب في القدر، رقم: ٤٦٩٦، ٤٦٩٧. والترمذي (٤١) كتاب الإيمان (٤) باب في وصف جبريل للنبي... رقم: ٢٦١٠، وقال: هذا حديث حسن صحيح وقدروي هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ. وابن حبان (٥) كتاب الإيمان (٤) باب فرض الإيمان، رقم: ١٧٣. والبيهقي في شعب الإيمان، رقم: ٣٩٧٣. وابن ماجه ١٢/١ في المقدمة (٩) باب في الإيمان، رقم: ٥١. والبخاري في شرح السنة كتاب الإيمان، ج: ٢. وابن خزيمة في صحيحه كتاب المناسك، ج: ٢٥٠٤. والنسائي ٤٧٢/٨ كتاب الإيمان، باب نعت الإسلام، رقم: ٥٠٠٥. والطيالسي، ص: ٥، ح: ٢١. والبخاري في خلق أفعال العباد، رقم: ١٩٠. وابن بطة في الإبانة، باب معرفة الإسلام... ح: ٨٢٧-١٤٥١ والآجري في الشريعة ص: ١٧٦. وابن أبي عاصم ح: ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤.

(٣) هو الحافظ المقرئ أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي الأندلسي، مولاهم، يعرف بابن الصيرفي. ولد سنة ٣٧١هـ وسكن دانية فاشتهر بالداني. رحل إلى المشرق للحج وطلب العلم وعاد سنة ٣٩٩هـ إلى الأندلس، سمع من علماء كبار كابن أبي زمنين وأحمد القاضي وغيرهما له مصنفات كثيرة منها (الرسالة الوافية)، وما يقارب مئة وعشرين كتاباً ومنها كتاب «المقنع» الشهير. توفي رحمه الله عام ٤٤٤هـ بدانية من بلاد الأندلس ==

أتت به الرسل . ومن قول جميعهم: إن جميع المكلفين يلزمهم الإيمان بكل ما أتت به الرسل، ونطقت به الكتب..»^(١).

واستدل ابن عطية على وجوب الإيمان بالأنبياء وفرضية ذلك بقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

ثم ذكر الأنبياء ونسل بيت النبوة من إبراهيم وأولاده إلى الأسباط وموسى وعيسى، وقال: «فالمعنى أنا نؤمن بجميع الأنبياء : لأن جميعهم جاء بالإيمان بالله، فدين الأنبياء واحد وإن اختلفت أحكام الشرائع، ولا نفرق بين أحد منهم) أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض»^(٣).

كما استدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٤).

واستدل كذلك^(٥) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

== بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم. ومشى السلطان في جنازته، وكان جمعاً عظيماً . انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/٧٨، ٧٩. والصلة لابن بشكوال ٢/٣٨٦، ٣٨٧. جنوده المقتبس، ص ٢٨٧. الإحاطة في اخبار غرناطة ٤/١٠٩.

(١) الرسالة الوافية، ص ٩١.

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٣٦.

(٣) المحرر الوجيز ١/٥٠٢، ٥٠٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية : ٨٤.

(٥) انظر المحرر الوجيز ٤/٢٥٩، ٢٦٠.

الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» (١) .

وعند القرطبي المفسر ابن فرح هذه العقيدة في الأنبياء والنبوة في تفسير
قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٢) قَالَ
يرحمه الله: «يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرق بينهم كما
فرقت اليهود والنصارى» (٣) .

واستدل كذلك (٤) بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٥) .

أما ابن عبد البر (٦) فقد أورد في تمهيده بعض الأحاديث الدالة على وجوب

(١) سورة النساء، الآية : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٢٥/٣ .

(٤) انظر المصدر السابق ٢٣٧/٢ - ٢٤١ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٧٧ .

(٦) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري
القرطبي، إمام الأندلس في زمانه. ولد سنة (٣٦٨ هـ). قال فيه القاضي الباجي: أبو عمر
أحفظ أهل المغرب، تفقه بقرطبة على كبار علماء الأندلس كابن الفرضي، وأحمد بن عبد
الملك الإشبيلي، وتعلم على يديه العشرات من طلبة العلم النبغاء . له تأليف كثيرة شهيرة ==

الإيمان بالنبوة والأنبياء، ومن ذلك حديث جبريل المشار إليه آنفاً^(١) «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...»، وذكر أحاديث في مواضع أخرى كحديث الجارية «أتشهدين أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالت: نعم قال اعتقها فإنها مؤمنة»^(٢)، وحديث نافع عن ابن عمر أن رجلاً أتى ابن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن ما جعلك على الحج عاماً وتقيم عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغب الله فيه فقال يا ابن أخي «بني الإسلام على خمس إيمان بالله ورسله...»^(٣).

وأورد الحديث أن النبي ﷺ إذا سئل عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت»^(٤)، وغيرها من الآثار في الاستدلال على هذه العقيدة الفريدة^(٥).

وقد ذكر هذه العقيدة وقررها أبو طالب عبد الجبار^(٦) في منظومته العلمية التاريخية، فقال:

== منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في سبعين جزءاً. قال فيه ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه، ومنها: الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار، وكتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة وجامع بيان العلم وفضله، وغيرها من الصفات. توفي بشاطبة سنة (٤٦٣هـ). انظر: الصلة ٣/٩٧٢، ٩٧٤. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ٣/١٥٠. طبقات الحفاظ. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/٤٣١ - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

(١) انظر التمهيد ٩/٢٣٩، ٢٤٩، ١٦/١٦٠.

(٢) رواه أحمد في المسند ٤/٢٢٢، وأبو عوانة في مسنده ١/٤٦٦.

(٣) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ١٦/١٦٠.

(٤) رواه أحمد في المسند ٤/١١٤، والبزار في مسنده ١/٢٧٢، والطيايسي ١/٥.

(٥) انظر المصدر السابق ٥/٧٥، ٩/٢٣٩.

(٦) أبو طالب عبد الجبار، العلامة الأديب، من أهل جزيرة شقر، كان يعرف بالمتبّي، أبرع أهل وقته أدباً وأعجبهم مذهباً، وأكثرهم تفناً في العلوم، وأو سعيهم، ذرعاً بالإجادة في المنثور ==

ونعمة الله ببعث الرسل بحمدها ينطق كل مقول
أولهم آدم الصفي وآخر محمد النبي
أرسلهم طراً ليهدوا الناسا مؤلفاً بالدعوة الأجاسا
فأدحضوا كل مقال زائف أكرم بهم من صفوة خلائف
تأتيهم الملائك الكرام بكل ما يريده العالم
فبينوا الحلال والحراما وأنفذوا الأمور والأحكاما
حتى بدا الصبح لذي عينين وأسمعوا من كان ذا أذنين
تألفهم صحابة أمجاد أسد حروب قادة أنجاد
حتى هدى الله بهم من اهتدى لولاهم لأصبح الناس سدى
فاختص كل مرسل بمعجزه من آية وكلمات موجزه^(١)

الفصل الثالث : ثمرات النبوة وفضلها ولمن تكون :

- فضل ومنزلة النبوة:

مما علمنا ربنا تعالى في كتابه الكريم علو منزلة النبوة والنبیین وأنها نعمة عظمت من الله لعباده الذين فضلهم بها على العالمين كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ (٢) .

== والمنظوم وكان - بلغني - يعد نفسه بملك، وينخرط للمجون في سلك، لا يبالى أين وقع، ولا يحفل بشيء صنع . وكان قد استتر ببلغة، واقتصر على طريقة، وله أرجوزة في التاريخ أغرب عن لطف محله من الفهم، ورسوخ قدمه في مطالعة أنواع العلم، وقد اشتملت فصولها على علم جليل، وباع في الخبر طويل، وذكر أنه مات بعد عام (٥٣٨هـ) . انظر : ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري د . عبد الحليم عويس ص ١٤٤، دار الاعتصام .
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق/ج ٩١٦/٢ .

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق/١ / ج ٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) سورة مريم، الآية : ٥٨ .

وقد ذهب القرطبي في تفسيره إلى أن مرتبة النبوة مرتبة عليا لا يلحقها النقص ولا الدنو^(١)، وأن للنبوة من الأبهة وجلالة المقدار ما لها، وانحطاط سائر الرتب وإن جلت على رتبها^(٢).

وفي سياق ذكر منزلة علو الأنبياء وتزكيتهم وفضل الذكر ذكر أثر^(٣) «عن أبي بن كعب قال: قال الله تعالى: يا موسى من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء»^(٤). قال أبو عبد الله معناه عندي أعطيته ثواب عمل الأنبياء، فأما ثواب النبوة فليس لأحد إلا للأنبياء»^(٥).

كما ذكر أبو العباس القرطبي^(٥) علو مرتبة النبوة ومنزلتها على غيرها من المنازل وذلك في سياق الكلام على الوحي والنبوة والرؤيا.

وتكلم في موضع آخر على فضل زمن النبوة عند شرحه لحديث: «وإنهالهم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخرها ملكا»^(٦). فقال يرحمه الله: «يعني أن زمان النبوة يكون الناس فيها يعملون بالشرع ويقومون بالحق ويزهدون في الدنيا ويرغبون في الآخرة، ثم إنه بعد انقراضهم وانقراض خلفائهم يتغير الحال وينعكس الأمر»^(٧).

- لمن تكون النبوة ؟

استدل علماء الأندلس على أن النبوة اصطفاء من الله عز وجل بقوله تعالى:

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٩٩/٣.

(٢) انظر المصدر السابق ٣٠٦/١٦.

(٣) ذكره محمد بن عبد الله الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ٢٦٧/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٠/٣.

(٥) انظر المفهم ١٧/٦.

(٦) رواه حماد بن إسحاق البغدادي في كتابه تركة النبي : تحقيق د. أكرم ضياء العمري، ص ٦٠.

(٧) المفهم ١٢٤/٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١)، قال القرطبي: «اصطفى اختار وقد تقدم في البقرة وتقدم فيها اشتقاق آدم وكنيته والتقدير أن الله اصطفى دينهم وهودين الإسلام وقال الزجاج اختارهم للنبوة على عالمي زمانهم»^(٢). وأكد هذا الاجتباء والاصطفاء عند شرحه لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٣) وأنها لا تتال بالاكْتِسَاب وأن الله «أخبر أن الاختيار إليه سبحانه وتعالى إن الله سميع لأقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته»^(٤)، وأن الله تعالى (يجتبي) «أي يختار من رسله لإطلاع غيبه من يشاء»^(٥)، وذكر «عن ابن عباس: ولا تكون النبوة إلا في حال الكبر»^(٦).

وإلى هذا المعنى في الاصطفاء والاجتباء ذهب الإمام أبو العباس القرطبي، وقال في شرحه: «.. وقد ظهر لي وجه خامس وهو أن النبوة معناها أن يطلع الله من يشاء من خلقه على ما يشاء من أحكامه ووحيه»^(٧)، ثم ذكر آيات الاصطفاء وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٨) وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٩)، وغيرها من الآيات وقال: «حصل من هذا أن النبوة لم يخص الله

(١) سورة آل عمران، الآية : ٣٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٦٢/٤ .

(٣) سورة الحج، الآية : ٧٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١٦ .

(٥) المصدر السابق ٢٨٩/٤ .

(٦) المصدر نفسه ١١٢/١٥ .

(٧) المفهم ١٧/٦ .

(٨) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٩) سورة الأنعام، الآية : ٩٠ .

بها إلا أكمل خلقه وأبعدهم عن النقائص، ثم إنه لما شرفهم بالنبوة حصلت لهم بذلك على جميع أنواع الخصوصية، فلما كانت النبوة لا يخص بها إلا من حصلت له خصال الكمال أطلق على تلك الخصال نبوة^(١).

وكذا ذهب القاضي ابن عطية معنى اصطفي أي اختار صفو الناس .. فكان ذلك فآدم اصطفاه الله تعالى بالإيجاد والرسالة إلى بنيه واصطفاه بالنبوة والتكليم .. ونوح اصطفاه، وهو أبونا الأصغر، وآل إبراهيم، وآل عمران، وقيل هو رجل من ذرية سليمان، والمراد أن الله اصطفاهم على أهل زمانهم أو على العالمين عامة^(٢). وأكد أن الرسالة اجتناء واختيار عند تأويله قوله تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣) وقال: «أي فيمن اصطفاه وانتخبه لا فيمن كفر وجعل يتشطط على الله»^(٤). وقد استدلل ابن جزى الكلبي^(٥) في تفسيره لسورة الحج^(٦) في قوله تعالى:

(١) المفهم ١٧/٦ .

(٢) انظر المحرر الوجيز ٨١/٣ - ٨٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٤) المحرر الوجيز ٥ / ٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبي، يكنى أبا القاسم . كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والتقيد و التدوين، فقيهاً حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة . تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله .

ذكر ابن الخطيب جملة من مشايخه واقتصر على بعضهم وهم: أبو الحسن ابن مستقور، أبو عبد الله الكماد، أبو عبد الله بن رشيد، أبو محمد عبد الله ابن المؤذن، أبو الوليد الحضرمي . وله مصنفات عديدة، منها:

كتاب: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١) على صحة هذا المعتقد بأنه اصطفاء واختيار.

- ثمرات النبوة وفضلها (على الفلسفة وغيرها):

قدمنا آنفاً الأدلة الشرعية على فضل النبوة ومنزلتها العليا وأنها تكون باصطفاء من الله واجتباء لبعض عباده، كما ورد في الأدلة الشرعية بالعنوان آنفاً بخلاف ما ذهب إليه بعض الطوائف البدعية كغلاة الصوفية والفلاسفة، إذ ذهبوا إلى أن النبوة تتال بالاكْتِسَاب والاجتهاد وبعض المميزات كالإدراك العقلي الجيد.. الخ .

وقد أوجز ابن العربي^(٢) مقولة هذه الطوائف في سياق رده فقال: «وكانت هذه الطائفة النائرة في هذه الدولة الغوية المسماة بالبرمكية، قد سعت في كيد الإسلام كما بينا، واصطنعت من ذكرنا، وتكاثرت، فربت في حجرها طوائف كابن

== الأنوار السنية في الكلمات السنية .

كتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار .

تقريب الوصول إلى علم الأصول .

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل .

أما وفاته، فقد قُدد وهو يشحذ الناس ويحرضهم ويثبت بصائرهم في يوم الكاينة بطريف، ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام واحد وأربعين وسبع مئة (٧٤١هـ) تقبل الله شهادته . انظر الإحاطة ٢٠/٣ - ٢٣، الديباج المذهب ٢٩٥/١، نفع الطيب ٥١٤/٥ .

(٦) انظر التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٣٤ .

(١) سورة الحج، الآية : ٧٥ .

(٢) هو: الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري . ولد سنة ثمان وستين وأربع مئة (٤٦٨هـ) ونشأ وتأدب ببلده، وفيها قرأ القرآن والقراءات، ورحل مع أبيه إلى الحج سنة (٤٨٥هـ) وسنّه سبعة عشر عاماً، ولقي شيوخ مصر وغيرهم، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن .

== وصف بأوصاف كثيرة تدل على علمه وفضله ووصفه ابن بشكوال بأنه «الإمام العالم

المقفع وابن الراوندي والجاحظ المعتزلي وكثير من أمثالهم قد استسنوا في البشر أن لا مدرك إلا العقول، وأنها تغني عن الرسل، ولا مدرك في عقد أو قول أو عمل إلا والعقل مستقل به»^(١).

== الحافظ المستبصر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، فقد كان فقيهاً فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس . ولي القضاء فنفع الله به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الأمر بالمعروف والنهي بالمنكر، حتى أودى في ذلك بذهاب كتبه وماله . رحل إلى الحجاز ووصل بغداد مرتين لطلب العلم، وصحب أبا بكر الشاشي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء، فأخذ عنهم ثم ارتحل إلى الاسكندرية، ولقي بها جماعة من العلماء ثم قفل إلى الأندلس ونقل عنه أنه قال: كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبو الوليد الباجي أو كلاماً هذا معناه . وممن لقيه من العلماء في رحلاته، أبو بكر الطرطوشي إذ أخذ عنه بالشام، أما من روى عنه فهم: جم غفير، ومنهم القاضي عياض وأبو جعفر بن البادش، وطائفة، ومنهم ابن بشكوال، كما أخبر عن نفسه أنه لقيه وأخذ عنه الرواية، رحم الله الجميع . أما مصنفاه فهي كثيرة ومتداولة، وفيها ما هو مطبوع ومحقق ومن أهمها:

كتاب أحكام القرآن في التفسير .

القبس في شرح موطأ مالك بن أنس .

عارضة الأخوذي في شرح الترمذي .

المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد .

العواصم والقواصم، إلى غير ذلك من المصنفات .

توفي رحمه الله بالعدوة المغربية: في سنة ثلاث وأربعين وخمس مئة (٥٤٣هـ) . انظر : المغرب ٢٤٩/١، سير أعلام النبلاء ٢٠/(١٢٧ - ١٢٨) . نصح الطيب، ٢٨/٢، ٣٥، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي، ص (١٣٨) . الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ٨٥٥/٣، رقم: ١٣٠٥ . قضاة قرطبة (المرقبة العليا): ص (١٢٩) . أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد بن محمد المقرئ، ٦٢/٢ .

(١) العواصم من القواصم ٩٨/٢، ٩٩ .

ويرد ابن حزم^(١) يرحمه الله على دعوى الفلاسفة وغيرها أن النفس والمجتمع تصلح بغير النبوة، واستحالة ذلك: «ولا يمكن ألبة إصلاح أخلاق النفس بالفلسفة دون النبوة، إذ طاعة غير الخالق - عز وجل - لا تلزم وأهل العقول مختلفون في تصويب هذه الأخلاق، فذو القوة الغضبية التي هي غالبية على نفسه لا يرى من ذلك ما يراه ذو القوة النباتية الغالبة على نفسه، وكلاهما لا يرى من ذلك ما يرى ذو القوة الناطقة الغالبة على نفسه»^(٢).

ويرد عليهم في زعمهم أن الفلسفة تقدم النجاة للنفس في الدنيا والآخرة: «ولا سبيل ألبة إلى معرفة حقيقة مراد الخالق منها ولا إلى معرفة طريق خلاصنا

(١) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب . أصله من الفرس، وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان .
ولد ابن حزم سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٤هـ)، ونشأ في بيت وزارة، فأبوه كان وزيراً، وكذا تولاه ابن حزم نفسه، وكان بيته الذي نشأ فيه بيت عز ومال وجاء عريض، طالما اعتز به ابن حزم .

وصفه الحميدي بأنه : «كان حافظاً عالماً لعلوم الحديث والفقه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، متفنناً في علوم جملة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة ... متواضعاً ذا فضائل جملة» . أما أهم مصنفاته:

فهي كثيرة تجل عن الحصر، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع وآخر كثير مفقود، وقد أوصلها ابن الخطيب في إحاطته أنها: «بلغت أربعمئة مجلد، وقال: حمل بغير». ومن أشهرها الأحكام لأصول الأحكام، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإجماع ومسائله، وغيرها . توفي رحمه الله سنة ست وخمسين وأربع مئة للهجرة (٤٥٦هـ). انظر : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ٤٨٩/٢ . سير أعلام النبلاء، ١٨٤/١٨ . بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ٥٤٣/٢ . ابن حزم حياته وعصره وأراؤه وفقهه لأبي زهرة، ص ٢٧، دار الفكر العربي. نفع الطيب ٧٨/٢ (الإحاطة في أخبار غرناطة ١١٣/٤) .

(٢) رسائل ابن حزم ١٣٤/٢ .

إلا بالنبوة، وأما بالعلوم الفلسفية التي قدمناها فلا -أصلاً- ومن ادعى ذلك فقد ادعى الكذب ؛ لأنه يقول ذلك بلا برهان ألينة، وما كان هكذا فهو باطل، ولا يعجز أحد عن الدعوى، وليست دعوى أحد أولى من دعوى غيره بلا برهان. ثم البرهان قائم على بطلان هذه الدعوى ؛ لأن الفلاسفة الذين إليهم يستند هذا المدعي يختلفون في أديانهم كاختلاف غيرهم سواء بسواء، فوجب طلب الحقيقة في ذلك عند من قام بالبرهان على أنه إنما يخبر عن خالق العالم ومديره - عز وجل -، وهذا مكان يلزم العاقل الناصح لنفسه ألا يجعل كده ولا اجتهداه إلا في الوقوف على حقيقته، وإلا فهو موبق لنفسه، ولا يشتغل عن ذلك بعلم من العلوم تقل منفعة، ومن فعل ذلك فهو ضعيف العقل فاسد التمييز سيئ الاختيار مستحق للذم، جان على نفسه عظيم الجنايات»^(١).

ويوضح ابن حزم أن ثمرات النبوة ومنفعتها في ثلاثة أشياء:

أحدها: إصلاح الأخلاق النفسية وإيجاب التزام حسنها كالعدل والجود والعفة والصدق والصبر والحلم والرحمة واجتناب سيئها.

الوجه الثاني: دفع مظالم الناس الذين لم تصلحهم الموعظة ولا سارعوا إلى الحقائق وحياسة الدنيا والأبشار والفروج والأموال والأمن على كل ذلك من التعدي والغلبة وكفاية من ضاع ولم يقدر على القيام بنفسه.

الوجه الثالث: هو التقدم لنجاة النفس في الآخرة فيما بعد خروجها من الدنيا من الهلكة التي ليس معها ولا بعدها شيء من الخير لا ما قل ولا ما كثر^(٢).

(١) رسائل ابن حزم ١٣٥/٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ١٣٤/٣ .

الفصل الرابع : النبوة والرسالة والفرق بينهما :

في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(١)، ذهب الإمام ابن عطية إلى أن «الرسول والنبي اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي»^(٢)، في التفريق بين النبي والرسول، وبعد التعريف اللغوي أردف مؤكداً الفارق بينهما: «وقدم الرسول اهتماماً بمعنى الرسالة عند المخاطبين بالقرآن، وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم، وكذلك رد الرسول ﷺ على البراء بن عازب حين قال: «آمنت بكتابتك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت» فقال له رسول الله ﷺ: «وبنبيك الذي أرسلت»^(٣)، ليترتب الكلام كما ترتب الأمر في نفسه: لأنه نبي ثم أرسل، وأيضاً ففي العبارة المردودة تكرار الرسالة وهو معنى واحد»^(٤).

ويرجح في موضع آخر أن الفارق بين النبي والرسول هو أن الرسول كلف بتبليغ أمة من الأمم بخلاف النبي الذي قد لا يكون كذلك. قال يرحمه الله: «والرسول من الأنبياء الذي يكلف تبليغ أمة، وقد يكون نبي غير رسول»^(٥).

وكذلك قرر القرطبي المفسر الفارق بين النبي والرسول، وأنهما اسمان لمعنيين في سياق شرحه للحديث الآنف: «آمنت بكتابتك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت» وأن المراد حكمها لا لفظها «وأما رده عليه السلام الرجل من قوله ورسولك إلى

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) المحرر الوجيز ١٠٠/٦.

(٣) رواه البخاري ٩٧/١ كتاب الطهارة، باب فضل من بات على الوضوء رقم: ٢٤٤. ومسلم ٢٠٨٢/٤، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم: ٢٧١٠. وابن حبان في صحيحه ٣٣٧/١٢، رقم: ٥٥٢٧ باب الذكر.. الترمذي في سننه ٤٦٨/٥، كتاب الدعوات... باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه، رقم: ٣٣٩٤.

(٤) المحرر الوجيز ١٠١/٦.

(٥) المصدر السابق ٤٨٤/٩.

قوله ونبيك: لأن لفظ النبي ﷺ أمدح ولكل نعت من هذين النعتين موضع ألا ترى أن اسم الرسول يقع على الكافة واسم النبي لا يستحقه إلا الأنبياء عليهم السلام وإنما فضل المرسلون من الأنبياء؛ لأنهم جمعوا النبوة والرسالة، فلما قال ونبيك جاء بالنعت الأمدح ثم قيده بالرسالة بقوله الذي أرسلت، وأيضاً فإن نقله من قوله ورسولك إلى قوله ونبيك ليجمع بين النبوة والرسالة، ومستقبح في الكلام أن تقول هذا رسول فلان الذي أرسله وهذا قتيل زيد الذي قتله؛ لأنك تجتزئ بقولك رسول فلان وقتيل فلان عن إعادة الجواب والقاتل إذ كنت لا تفيد به إلا المعنى الأول، وإنما يحسن أن تقول هذا رسول عبدالله الذي أرسله إلى عمرو وهذا قتيل زيد الذي قتله بالأمس أو في وقعة كذا والله ولي التوفيق»^(١).

ويفيض القرطبي في بيان الفارق بين النبي والرسول في موضع آخر وأن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا: «والرسول والنبي اسمان لمعنيين، فإن الرسول أخص من النبي، وقدم الرسول اهتماماً بمعنى الرسالة وإلا فمعنى النبوة هو المتقدم ولذلك رد رسول الله ﷺ على البراء حين قال وبرسولك الذي أرسلت فقال له قل آمنت بنبيك الذي أرسلت خرج في الصحيح . وأيضاً فإن في قوله برسولك الذي أرسلت تكرير الرسالة وهو معنى واحد، فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه بخلاف قوله ونبيك الذي أرسلت، فإنهما لا تكرر فيهما وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا : لأن الرسول والنبي قد اشتركا في أمر عام هو النبأ واختلفا في أمر خاص وهي الرسالة، فإذا قلت محمد رسول من الله تضمن ذلك أنه نبي ورسول الله وكذلك غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم»^(٢).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٣/١

(٢) المصدر السابق ٧/٢٩٨ .

واختصر العلامة ابن جزى الفرق بينهما اختصاراً موفقاً فقال: «النبى أعم من الرسول ؛ لأن النبى كل من أوحى الله إليه ولا يكون رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوة، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً»^(١). وقال الإمام ابن حزم : «قالوا لنا فقولوا إنه يكون بعده رسول ؛ لأنه أخبر بأنه لا يكون بعده نبى ولم يقل لا رسول بعدي . قال أبو محمد : وهذا جهل مظلم ممكن أتى بهذا ؛ لأن هذا من جوامع الكلم التي أوتيتها رسول الله ﷺ وكل رسول نبى وليس كل نبى رسولاً، فلو قال عليه السلام لا رسول بعدي، لأمكن أن يقول بعده نبى لكن إذ قال لا نبى بعدي، فقد صح أنه لا رسول بعده ؛ لأن كل رسول فهو نبى بلا شك، ولا سبيل إلى وجود رسول ليس نبياً فبطل هذا التمويه الضعيف...»^(٢). ولعلماء الأندلس في هذا كلام يطول أوردنا أهمه وأكثره فوائد، ويتلخص لنا من خلال كلامهم ما يلي:

- أن الرسول والنبى اسمان لمعنيين مختلفين .
- أن الرسول أخص من النبى، فالنبوة عامة والرسالة خاصة .
- أن الرسول أعلى رتبة من النبى .
- أن النبى أوحى إليه بالغيب، ولا يكون رسولاً حتى يرسله الله إلى الناس .

الفصل الخامس : الرؤيا والنبوة :

مما لا شك فيه أنه بالنظر إلى النصوص الشرعية أن الرؤيا تنقسم إلى قسمين : القسم الأول: رؤيا الأنبياء .

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٦/٣ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٤٣٢/٧ .

القسم الثاني: رؤيا عامة الناس .

والقسم الأول نص عليه ربنا عز وجل في قوله تعالى في قصة إبراهيم : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (١) .

وفي الحديث: «كان لا يرى رؤيا إلا جاءتته مثل فلق الصبح.....» (٢).

وقد استدل أبو العباس القرطبي في المفهم بحديث: «أراني في المنام أتسوك بسواك فجذبني رجلان» (٣) وأفاد أن رؤيا الأنبياء وحي، وأنها تقتبس منها الأحكام كما قال تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ (٤).

وهذا القسم واضح جلي، ولذا كان الكلام عليه مختصراً .

أما القسم الثاني:

وهي رؤيا عامة الناس وما علاقتها بالنبوة وهل هي للمسلم أم للمسلم والكافر أم للمؤمن؟ وهل يعني أن صدق الرؤيا لأي إنسان تدل على أنها جزء من النبوة؟ والذي أورده العلماء الأندلسيون . وقد ذكرها القرطبي في تفسيره فقال:

«روى أبو رزين العقلي أن النبي ﷺ قال : «الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة و الرؤيا معلقة برجل طائر مالم يحدث بها صاحبها فإذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها إلا عاقلاً أو محباً أو ناصحاً». أخرجه الترمذي وقال فيه حديث حسن

(١) سورة الصافات، الآية : ١٠٢ .

(٢) رواه البخاري ٤/١ كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي... رقم: ٣ . ومسلم ١٤٠/١، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله، رقم: ١٦٠ . وابن حبان ٢١٦/١ كتاب الوحي، رقم: ٣٣ . وعبد الرزاق في مصنفه ٣٢١/٥ .

(٣) رواه البخاري ٩٦/١ كتاب الوضوء ، باب دفع السواك، رقم: ٢٤٣ . ومسلم ١٧٧٩/٤، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، رقم: ٢٢٧١ .

(٤) المفهم ٥٦١/٥، ٥٦٢ .

صحيح^(١) وأبو رزين اسمه لقيط بن عامر . وقيل لمالك أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ فقال
أبالنبوة يلعب^(٢) .

وفي موضع آخر ذكر أنه يستدل بالرؤيا ناقلاً عن ابن العربي قوله : « قال ابن
العربي إن الله تعالى لم يبق من الأسباب الدالة على الغيب التي أذن في التعلق بها
والاستدلال منها إلا الرؤيا، فإنه أذن فيها وأخبر أنها جزء من النبوة »^(٣) .

كما ذكر الحديث الإمام ابن عبد البر في تمهيده في مواضع : « فعن عطاء بن
يسار أن رسول الله ﷺ قال : « لن يبقى بعدي من النبوة إلا المبشرات قالوا وما
المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له جزء من
سنة وأربعين جزءاً من النبوة »^(٤) .

هكذا روى هذا الحديث جميع الرواة عن مالك فيما علمت مرسلًا، وفيه أنه
لا نبي بعده ﷺ وهو تفسير قوله عليه السلام « لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله »^(٥) وهو
حديث يروى من حديث المغيرة بن شعبة فإن صح كان معنى الاستثناء فيه الرؤيا
الصالحة على ما في هذا الحديث وما كان مثله، وحسبك بقول الله عز وجل ﴿ وَلَكِنْ
رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﴾^(٦) .

- (١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٠/٤ . والطبراني في المعجم الكبير ٢٠٥/١٩ . ولم أجده في
الترمذي، كما ذكر القرطبي .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/٩ .
(٣) المصدر السابق ١٨١/١٦ .
(٤) رواه البخاري ٢٥٦٤/٦ . كتاب الرؤيا، باب المبشرات، رقم : ٦٥٨٩ . ومالك في الموطأ ٩٥٧/٢
كتاب الرؤيا، باب ما جاء في الرؤيا . رقم : ١٧١٥ .
(٥) ذكره ابن عبد البر في التمهيد ٣١٤/١ ولم يعزه . وكذلك ٥٥/٥ وقال : إن صح .
(٦) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٠ . التمهيد ٥٥/٥ .

وذكر الإمام ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي^(١) الأحاديث والروايات وفصل فيها وفي عددها^(٢) .

وذكر بعض الروايات العلامة ابن خلدون في مقدمته^(٣)، وأورد أحاديث في الصحيح بأن الرؤيا الصريحة التي لا تفقر إلى تأويل هي من الله تعالى^(٤) .

وكذا ذكرها ابن العربي في قبسه رداً على المعتزلة في إنكار الرؤيا، وأنها تخيل لا حقيقة لها، وقد فصل تفصيلاً مفيداً في حقيقة ما يراه الناس مناماً^(٥) .

- متى تكون الرؤيا من النبوة؟

يجيب على هذا أبو العباس القرطبي - بعد أن أورد الروايات المتعددة في إثبات هذا المعتقد - وقال: «.. ذلك أن الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي ﷺ فأكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب. كما قال النبي ﷺ: «إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة في النوم، يراها الرجل الصالح أو ترى له»^(٦)، فإن الكافر والكاذب والمخلط - وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات - لا تكون من الوحي ولا من النبوة إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة»^(٧) .

(١) هو الشيخ الفقيه عبد الله بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي . صاحب مصنفات منها: جمع النهاية في بدء الخير والغاية، مختصر في الحديث، وله شرح حديث الإفك، وكتاب بهجة النفوس، وهو ثلاث مئة حديث من صحيح البخاري بشرحها محذوفة الإسناد غير الراوي، وغيرها . توفي سنة (٦٧٥هـ) . انظر : كشف الظنون ١ / ٥٥١، ٥٩٩، ١٠٤٠ .

(٢) انظر بهجة النفوس وتحليلها بما لها وما عليها ٤ / ٢٤٠ .

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون، الفصل الثاني عشر، ص ٤٧٥ .

(٤) انظر المصدر السابق، ص ٤٧٧ .

(٥) انظر القبس ٣ / ١١٣٥ - ١١٤٠ .

(٦) سبق تخريجه قريباً .

(٧) المضم ١٧ / ٦ .

فهي عنده لا تكون إلا للمسلم الصالح الصادق.
وكذلك رجح ابن عبد البر القول الآنف لدلالة الروايات عليه ولظاهر النص
الوارد، وقال: «وفي حديث مالك يراها الرجل الصالح أو ترى له، فظاهره أن لا تكون
الرؤيا من النبوة جزءاً من ستة وأربعين إلا على ذلك الشرط للرجل الصالح أو منه..
وفي حديث ابن عباس يراها المسلم ولم يقل صالحاً ولا طالحاً، وفي بعض ألفاظه
يرaha العبد وهذا أوسع أيضاً . وقوله في حديث مالك أو ترى له عمومته من الصالح
وغيره والله أعلم»^(١).

الفصل السادس : ختم النبوة :

هذا الأمر عقيدة في شرع الله ثابتة، وهو من الأمور المعلومة من الدين
بالضرورة، وقد تكلم على هذه العقيدة علماؤنا الأندلسيون في كتبهم وهذه إلماعة
سريعة لبعض من تكلم عليها من العلماء.

فالإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني قرر هذا في رسالته الوافية في
أحد فصولها الكثيرة، وقال في فصل فضل الرسل: «.. وختم النبوة برسالة محمد
أمينه وصفيه خاتم النبيين.. ﴿لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾^(٢)، وقال ﷺ: «لا نبي
بعدي»^(٣) فجعله تبارك وتعالى آخر المرسلين وفضله على العالمين وجعل كتابه مهيمناً
على جميع الكتب والأديان وأمته خير الأمم»^(٤).

(١) التمهيد ٥٧/٥ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٤٠ .

(٣) رواه البخاري ١٢٧٣/٣، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: ٣٢٦٨ . ومسلم

١٤٧١/٣، كتاب الإمامة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم: ١٨٤٢ .

(٤) الرسالة الوافية، ص ١٣٠، ١٣١ .

وقرر هذه العقيدة الشيخ عبدالله الترجمان^(١) (انسلم تورميديا) - الذي كان قسيساً كبيراً وأسلم - في كتابه تحفة الأريب^(٢)، وذكر قصة إسلامه، وأنها بسبب نبوة النبي ﷺ وختامه للأنبياء في كلام مطول، ثم تناولهم بالرد والتثريب والألفاظ الغليظة المقذمة والتوبيخ الصريح.

كما قررها الإمام القرطبي - المجهول الاسم - صاحب كتاب (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وتقرير إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام).

(١) هو عبد الله بن عبد الله، وسماه المستشرق آنغل بالنثيا في كتابه تاريخ الأندلس أنه «ارتد عن المسيحية واعتنق الإسلام وتسمى بعبد الله علي بن علي» وكان يسمى قبل إسلامه بالقسيس «أنسيلمو د تورميديا» Anselmo de Turmeda وكان يلقب بالترجمان. عبد الله الترجمان الميورقي ويكنى بأبي محمد، أما تلقيبه بالترجمان فلأنه كان يترجم في ديوان الأمير التونسي أحمد الحفصي ويسترزق منه. ولد في ميورقة في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي. وقيل إنه ولد على وجه التقريب سنة ست وخمسين وسبع مئة (٧٥٦هـ). ونشأ الترجمان بالجزيرة التي ولد بها، ثم ارتحل إلى لاردة وبولونيا في إيطاليا، ثم انضم إلى طائفة الرهبان المعروفة (بالمينورس = الصغار) ثم ارتحل إلى تونس حيث أشهر إسلامه. ومن مؤلفاته: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (الكتاب الشهير الذي ألّفه بعد إسلامه) التعاليم الصالحة (باللغة القطلونية). رباعيات مملكة ميورقة (بالقطلونية). كتاب النبوات (بالقطلونية).

وقد طار صيتها في قطلونية كل مطار، حتى إن بعضها ظل مستعملاً ككتاب تعليمي في ذلك الصقع إلى زمن متأخر من القرن التاسع عشر.

ومنها كتابه: (مجادلة الحمار، للأب انسيلمو تورميدي) ونشر بالقطلونية والفرنسية والألمانية، وفحوى الكتاب حوارات على لسان العجاويز يظهر فيه فضل الإنسان عليها. توفي الشيخ عبد الله الترجمان رحمه الله، سنة اثنتين وثلاثين بعد الثماني مئة (٨٢٢هـ). انظر (تاريخ الفكر الأندلسي، ص ٥٨٦، مقدمة تحفة الأريب، ص ٢٥، ٦١، ٦٢).

(٢) انظر تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ٦٦ وما بعدها.

ويمكن الجزم بأن أكثر من ثلث الكتاب في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام وختامه لجميع الأنبياء^(١)، وقد أجاد فيه ما شاء رحمه الله .

وفي تفسيره يرد الإمام القرطبي المفسر على الغزالي في تشويشه لعقيدة المسلمين في ختم النبوة، ويوضح أن معنى خاتم بها قرأه «الجمهور بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع ودانق ودانق وطابق من اللحم وطابق الثالثة. قال ابن عطية هذه الألفاظ ثم جماعة علماء الأمة خلفاً وسلفاً متلقة على العموم التام مقتضية نصاً أنه لانبي بعده ﷺ وما ذكره القاضي أبو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد إلحاد عندي وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد ﷺ النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته»^(٢) .

ويرد في موضع آخر على شبهة الخضر وأنه نبي باق بعد النبي ﷺ^(٣) ويذهب إلى بطلان قول من قال بحياة الخضر وسيرد لاحقاً إن شاء الله بيان ذلك .
وفي باب الحديث يستدل الإمامان ابن عبد البر وأبو العباس القرطبي بجملة أحاديث منها ما أورده ابن عبد البر قال: «قال ﷺ أنا العاقب الذي ليس بعدي نبي»^(٤).

(١) انظر الإعلام الجزء الرابع كاملاً .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٦/١٤، ١٩٧ .

(٣) انظر المصدر السابق ٤١/١١ .

(٤) رواه البخاري (٦١) كتاب المناقب (١٧) باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ و(٦٥) كتاب التفسير، تفسير سورة الصف (١) باب «يأتي من بعدي اسمه أحمد» . ومسلم (٤٣) كتاب الفضائل (٣٤) باب في أسمائه ﷺ . وقال المزي في تحفة الأشراف ٤١٣/٢ : ورواه الترمذي في كتاب الاستئذان (١٠١) وقال: حسن صحيح . والترمذي في الشمائل ١/٥٢ . والنسائي في كتاب التفسير في الكبرى .

حدثني خلف بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن مطرف قال: حدثنا أحمد بن خالد قال: حدثنا يحيى بن عمر قال: حدثنا يوسف بن عمر قال: أخبرنا ابن وهب : عن مالك قال: ختم الله به الأنبياء وختم بمسجده هذه المساجد يعني مالك بذلك مساجد الأنبياء، وقال أبو عبيد: سألت سفیان يعني ابن عيينة عن العاقب فقال لي آخر الأنبياء قال أبو عبيد وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب وقد عقب يعقب عقباً ولهذا قيل لولد الرجل بعده عقبه وكذلك آخر كل شيء عقبه^(١) .

ويورد الإمام القرطبي أبو العباس جزءاً من حديث في صحيح مسلم وهو قوله ﷺ : «وإنه لا نبي بعدي»^(٢) ويقول : «هذا النفي عام في الأنبياء والرسل ؛ لأن الرسول نبي وزيادة ، وقد جاء نصاً في كتاب الترمذي قوله : «لا نبي بعدي ولا رسول»^(٣) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ ﴾^(٤) ومن أسمائه في الكتب القديمة وفيما أطلقته هذه الأمة: خاتم الأنبياء، ومما سمي به نفسه العاقب والمقضي ، فالعاقب الذي يعقب الأنبياء والمقضي الذي يقفوههم أي يكون بعدهم»^(٥) .

الفصل السابع : المدعون للنبوّة وحكمهم :

من دلائل نبوة محمد ﷺ أنه أخبر بظهور المدعين الكذابين الذين يزعمون أنهم أنبياء كقوله ﷺ : «وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي،

(١) التمهيد ١٥٥/٩ .

(٢) سبق تخريجه قريباً .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک ٦٣١/٢ ، باب ذكر النبي الكريم موسى بن عمران، رقم: ٤١٠٥ .

(٤) سورة الأحزاب، الآية : ٤٠ .

(٥) المفهم ٤٨/٤ .

وأنا خاتم النبيين لاني بعدي»^(١) وقوله: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله»^(٢)، إلى غير ذلك من الأدلة.

وقد ذكر علماء الأندلس بعضاً من الروايات في ذلك، فأبو العباس القرطبي ذكر أحاديث في صحيح مسلم وأوضح أن بعضهم ظهر في حياة النبي ﷺ في حديث مسيلمة: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكما، ثم كتب رسول الله ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب»^(٣).

وقال: «قال ابن إسحاق: تنبأ على عهد رسول الله ﷺ مسيلمة وصاحب صنعاء الأسود بن عزة العنسي وطليحة وسجاح التميمية...»^(٤).

(١) أخرجه مسلم ٢٢١٥/٤ (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥) باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم: ٢٨٨٩ وأبو داود ٩٧/٤ كتاب الفتن والملاحم، رقم/٤٢٥٢ وابن ماجه ٣٦٨/٢ (٣١) أبواب الفتن (٩) باب ما يكون من الفتن، رقم: ٤٠٠٠. والترمذي ٤٣٢/٤ (٣٤) كتاب الفتن، رقم: ٢٢١٩، بآخره وقال: حديث حسن صحيح. وابن أبي شيبة في المصنف ٤٩٦/٤ كتاب الفتن والملاحم، رقم: ٨٣٩٠، بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وإنما أخرجه مسلم مختصراً.

(٢) هذا حديث صحيح، أصله واحد بألفاظ متقاربة.

أخرجه مسلم ٢٢٤٠/٤ (٥٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة، (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... بألفاظ عدة. والبخاري (٦١) كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم: ٣٦٠٩. بآخره، وسبق شرح أوله في فصل: اقتتال فتنتين عظيمتين. وأبو داود ١٢١/٤ كتاب الملاحم، رقم/٤٣٤، بلفظ مقارب. والترمذي ٤٢٣/٤ (٣٤) كتاب الفتن (٤٣) باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، وقال: هذا حديث حسن صحيح وابن حبان في صحيحه ٦٦٥١/١٥، بزيادة في آخره.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ١٦٢/٢، فصل في بيان النبي، رقم: ١٤٤٠. والشيباني في الأحاد والمثاني، رقم: ١٣٠٩.

(٤) المفهم ٤٠/٦.

كما ذكر القرطبي المفسر^(١) حديث: «.. ورأيت في يدي سوارين فأولتهما كذابين يخرجان بعدي»^(٢).

وذكر في موضع آخر قول غلاة الروافض من أن الرسالة كانت إلى علي، وأن جبريل أخطأ بالوحي، وأن طائفة أخرى قالت إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة، وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي^(٣).

وبمثل هذا القول أورد أبو العباس القرطبي مقالة هؤلاء الضالين^(٤).

وهكذا ظهر المدعون الكذابون في حياة النبي ﷺ كما أخبر، وبعد موته وهم أصناف كثيرة وأعداد وفيرة ومن ضمن ذلك بلاد الأندلس، إذ لم يغفل العلماء الأندلسيون من ظهر وادعى النبوة ومحاربتهم وكرههم لأي بادرة من هؤلاء الدجالين. فابن حيان في مقتبسه يذكر حادثة من هذا الصنف في سنة سبع وثلاثين ومئتين للهجرة (٢٣٧هـ) «في أيام ولاية عبد الله بن يحيى للثغر، قام بناحيته رجل من المعلمين، فادعى النبوة وألحد في القرآن، فأحاله عن وجوهه، وأوله على غير تأويله، وقام معه خلق كثير، وكان ينهى عن قص الشارب والأظفار ويقول: لا تغيير لخلق الله»^(٥). ثم ذكر كيف استتيب، وسيأتي قريباً، كما ذكر ذلك ابن عذارى في البيان المغرب^(٦).

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢٦/١٩، وانظر كذلك ٧٧/١٩.

(٢) رواه البخاري ١٣٢٥/٣، كتاب المناقب، باب كان النبي تمام عينه ولا ينام قلبه، رقم: ٣٤٢٤.

ومسلم ١٧٨١/٤، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ، رقم: ٢٢٧٤.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٦٣/٤.

(٤) المفهم ٢٧٤/٦.

(٥) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٥٧، هذا الجزء بتحقيق د. محمود مكي.

(٦) انظر البيان المغرب ٩٠/٢ ط. بيروت ١٩٨٠م.

ومن المدعين كذلك رجل ادعى النبوة واجتمع حوله البربر وأقاموه مقام النبي الصادق، وقاتل النصارى فقتل، ويسمى الداعي (ابن القطان). قال ابن حيان: «كان من أهل العناية بالعلم والمطالعة لعلم النجوم ومعرفة الهيئة وكانت له حركة وفيه شراسة...» (١).

وكان الأندلسيون علماء وعامة يبغضون البدع وأهلها والمدعون للمهدية وللنبوة وينفرون منهم أشد النفور، ويلمزون من اتهم بذلك، فقد ذكر ابن بسام الشنتريني في ذخيرته عن أحد شعراء وأدباء الأندلس ويسمى محمد بن عيسى الداني طرفاً من ذلك في قصيدة له فقد «عرض في هذه القصيدة بأبي الحسن ابن الأستاذ، وكان ولاء عمر بن محمد ببطليلوس خطة الأشراف، فقطع جراية جملة من الأضياف وكان يلقب بالمتنبي، ويبغض إذا سمع هذا اللقب، فقال فيه أبو بكر الداني:

معشر الأضياف ضجوا قد أتى الدهر بأية

قد أتاكم بنبي شرعه قطع الجراية

فطار هذان البيتان فيه، وكانا السبب في أن نكب.

وقال فيه محمد بن عبدون:

يا أيها المتنبي من أرض وادي الحجارة

وعرضه من زجاج ووجهه من حجارة

وفيه يقول أيضاً من أبيات:

أيا نبي الكفر خف سطوة تأتيك من فرعونك المسلم» (٢)

(١) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٦١، وما بعدها. هذا الجزء بتحقيق: د. إسماعيل العربي.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٦٧٢/٢/٣.

- حكم المتنبي المدعي للنبوّة:

تكلم العلماء الأندلسيون على الكذابين المدعين للنبوّة وحكمهم في أحوالهم في دعاواهم، فهذا ابن رشد^(١) (الجد) يفصل المسألة في بيانه، فيقول:

«مسألة: قال عيسى قال ابن القاسم: وأما من تنبأ فإنه يستتاب، فقلت له أسر ذلك أو أعلنه؟ فقال: وكيف يُسرّ ذلك؟ قلت: يدعو إليه في السر، قال: إذا دعا إليه فقد أعلنه، وليس للإسرار في ذلك وجه، وإن إسرار ذلك إظهاره أو إعلانته، وأنه يستتاب في ذلك كله وميراثه لجميع المسلمين؛ لأنه بمنزلة المرتد؛ لأن من أظهر النبوّة في نفسه ودعا إليها فقد كذب بما أنزل على محمد عليه السلام.

قال محمد بن رشد: هذه مسألة فيها نظر، والصواب أن يفرق فيها بين الإسرار والإعلان، وأن يكون حكمه إذا دعا إلى ذلك في السر وجحد في العلانية حكم الزنديق، لا تقبل له توبة إذا حضرته البيّنة وهو منكر للشهادة عليه بذلك، وهو قول أشهب فيمن تنبأ من أهل الذمة وزعم أنه رسول إلينا، وأن بعد نبينا نبي أنه إن كان معلناً استتيب إلى الإسلام، فإن تاب وإلا قتل، سأل ابن عبد الحكم عن ذلك لسحنون إذ كتب إليه أن يسأله عن ذلك وبالله التوفيق»^(٢).

(١) هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد قاضي الجماعة بقرطبة . كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقّه مقدماً فيه على جميع أهل عصره، وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه . كان له الأثر الأكبر في مقارعة النصارى المتآمرين على وحدة الأندلس، وله جولات مشهودة في الاستنفار للجهاد، وكان له يد في تسوير عدد من المدن الإسلامية بالحصون والأسوار ضماناً لها من غارات النصارى، وله مصنفات عدة منها ما هو مطبوع ككتابه البيان والتحصيل، وفتاوى ابن رشد . توفي سنة (٥٢٠هـ) . انظر : المرقبة العليا، ص ١٢٠، ١٢١، الإحاطة ١/ ١١٢، ١١٤، البيان المغرب ٤/ ٧٢، ٧٣، الصلة ٢/ ٨٣٩، ٨٤٠، رقم:

١٢٧٨، الحلل الموسوية، ص ٩٠، ٩١) .

(٢) البيان والتحصيل ١٦/ ٤١٤، ٤١٥ .

وذكر القرطبي في المفهم أن من فعل ذلك يقتل، ومن ادعى النبوة وصارت له شوكة، فإنه يقاتل واستدل بقتال أبي بكر الصديق والمسلمين لجملة المرتدين من أتباع مسيلمة الكذاب^(١) هذا فحوى ما ذكره في كلام طويل.

وعند ابن حيان ما ذكرناه آنفاً للمدعي الكذاب الذي قام معه خلق من الرعاع، ذكر أنه جيئ به للأمير عبيد الله «فأرسل عبيد الله من جاء به، فلما دخل عليه وكاشفه كان أول ما ابتدأه به أن دعاه إلى اتباعه، فاستشار فيه عبيد الله أهل العلم عنده، فأشاروا باستتابته ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل، ففعل به ذلك فلم يتب، فأسلمه للقتل صلباً، فجعل يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾^(٢)، فأمضى عبيد الله قتله بالفتوى، وكتب إلى الأمير بأمره فأحمد فعله»^(٣).

كما ذكر الونشريسي في المعيار عن أبي الحسن علي الحلبي أن من تتباً، فإنه يستتاب أسر ذلك أو أعلنه، وهو كالمترد»^(٤).

ولا شك أن هذا مما يتفق عليه أكثر فقهاء أهل السنة والجماعة، ويندر من خالف في ذلك .

الفصل الثامن : شبه حول النبوة :

لقد علمنا القرآن الكريم أن منهج الكافرين في الصد عن سبيل الله إثارة الشبه، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ

(١) انظر المفهم ٤١/٦، ٤٢ .

(٢) سورة غافر، الآية : ٢٨ .

(٣) المقتبس، ص ١٥٧ .

(٤) انظر المعيار المعرب ٣٩٣/٢، ٣٩٤ .

إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿١﴾، وقد أجابهم ربنا على ذلك، وكلما أثار المشركون شبهة عالجها القرآن بما يشفي ويكفي.

ومن هنا سلك علماء الأندلس هذا المسلك الإلهي في إجابة الشبهات ووأدها في مهدها، وهذه الشبهات المثارة حول النبوة من قبل الكافرين أعداء الله كثيرة وفيرة لا يسعها فصل، وسنضرب بعض الأمثلة في ذلك، ويكفي من الأسورة ما أحاط بالمعصم.

- شبهة اليهودي في شك النبي ﷺ في رسالته بنص القرآن:

وهذا اليهودي المارق أوردتها في كتاب له وزعم أن الله لم يرسل النبي إذ هو في شك من رسالته، في قول الله تعالى في القرآن: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (٢).

وعقب أبو محمد بن حزم راداً على هذه الشبهة: «قال هذا المجنون فهذا محمد كان في شك مما ادعاه».

قال أبو محمد: كان يلزم هذا الخسيس أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يبدي سوءته ويبيدي عورته، وليعلم أن "إن" في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط : لأن من المحال العظيم أن يقاتل إنسان أهل الأرض ثم يقول إني في شك مما أدعوكم إليه، إلا مثل هذا السخف في دماغ المجنون الجاهل.. وإن معنى إن هاهنا: «ما»، وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى آمراً نبيه: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) بمعنى ما أنا

(١) سورة الفرقان، الآية : ٧ .

(٢) سورة يونس، الآية : ٩٤ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٨٨ .

إلا نذير. وكما قال: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(١)... ثم أورد آيات في هذا وأنها تعني «ما»، وقال: فعلى هذا المعنى خاطب نبيه عليه السلام: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَاقُولُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، بمعنى ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك، ما هم في شك مما أنزلنا إليك، بل هم مؤمنون بصحة قولك وأنتك نبي حق...، ثم وبخ الجاهل المعاند في رد طويل هذا أهم ما فيه^(٢).

- شبهة كتابة النبي ﷺ ومناقضة ذلك للقرآن:

من المعلوم من الدين بالضرورة أن نبينا محمد ﷺ أُمي بعث إلى العالمين، والامي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، وقد قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٣).

وقد امتحن أحد علماء الأندلس بسبب إثارته لهذه الشبهة - وهو أبو الوليد الباجي^(٤) - لما قال بإجازة الكتب على رسول الله ﷺ، وكفى الله غائلة هذه الفتنة

(١) سورة إبراهيم، الآية: ١١.

(٢) انظر (الرد على ابن النغيلة، ضمن رسائل ابن حزم، ٥٣/٣ - ٥٥؛ تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر = ط ٢ - ١٩٨٧م)، وأشار إليه في الفصل ٥١/٤ عند ذكر الشبهة بقوله: ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة. ومما يجدر ذكره أن الرسالة المذكورة كلها في رد الشبهات التي أثارها اليهودي.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

(٤) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي أبو الوليد. فقيه، محدث، إمام متقدم مشهور، عالم متكلم، أما ولادته فقال غير واحد أنه ولد سنة (٤٠٣هـ) ويذكر أنه نشأ وهمته في العلم وأنه بدأ بالأدب، فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته فقال به كل الرغائب. ومما أجمع عليه العلماء: الإقرار بفضل وعلم أبي الوليد، وأنه كان نظيراً لابن حزم

عامة المسلمين بسبب تبيانه وتوضيحه لها، ولكنه كُفِّرَ بسببها وشنع عليه فيها وتأوله لحديث الكتابة في صلح الحديبية الذي ورد في البخاري^(١).
«لما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري، قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره بإجازة الكتِّبِ على الرسول الأمي ﷺ، وأنه تكذيب للقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام، حتى أثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما أتى به، وتكلم به خطبائهم في الجمع، وقال فيه شاعرهم:

برئت ممن شرى دنيا بأخرة وقال إن رسول الله قد كتباً

== ولأكابر العلماء في الأندلس وقد ابتدأ - كما سبق - أديباً شاعراً، وقد ارتحل إلى الحجاز للحج، ثم أقام مع أبي ذر الهروي ثلاث سنوات وكان يسافر معه وقد أقام بالمشرق ثلاثة عشر عاماً وارتحل إليه سنة (٤٢٦هـ)، ثم انصرف إلى الأندلس، وقد نال قدراً كبيراً من العلم. وصف بأن له تواليف تدل على معرفته وسعة علمه ولما ذكرها المقرئ في نفعه أشار إلى أن له منها: «المنتقى من شرح الموطأ» ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج، وهو مما يدل على تبحره في الفنون.

قال صاحب البغية: «توفي سنة أربع وسبعين وأربع مئة (٤٧٤هـ) بالمرية، وكان أعلم عصره علماً وديانة» رحمه الله رحمة واسعة. انظر: بغية الملتبس ٢/٢٨٥، سير أعلام النبلاء ١٨/٥٣٥ (٢٧٤). وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لابن خلكان، ٢/٤٠٨، (نفع الطيب ٢/٦٨، ٦٩).

(١) رواه البخاري، (الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري: تحقيق مصطفى البفا - بيروت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ٢/٢٧٤، رقم: ٢٥٨١ باب الشروط في الولاء، ٤/١٥٣٢ رقم: ٣٩٤٥ كتاب الجهاد باب غزوة الحديبية)، والترمذي في سننه. الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي: مراجعة أحمد محمد شاكر، وآخرون - بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، ٦٣٤/٥، رقم: ٣٧١٥، باب في مناقب عمر رضي الله عنه)، و(الحاكم في المستدرک علی الصحيحین، محمد بن عبد الله الحاكم: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت)، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ٢/١٦٤، رقم: ٢٦٥٦)، وأحمد في مسنده، ٤/٣٢٢، رقم: ١٨٩٢، ٤/٣٢٨، رقم: ١٨٩٤٨.

فصنف أبو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة، فرجع بها جماعة، إذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمياً؛ لأنه لا يسمى كاتباً، وجماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة وهم أميون، والحكم للغالب لا للصورة النادرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنا أمة أميون»^(١) أي أكثرهم كذلك، لندور الكتابة في الصحابة، وقال: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^(٢). انتهى وبعبضه بالمعنى»^(٣) ناقلاً عن القاضي عياض رحمهما الله .

- شبهة نبوة البهائم:

ذكر هذه الشبهة أبو محمد بن حزم ورد على قائلها، وحاصلها أن أحد المعتزلة من أهل البصرة زعم أن في البهائم رسلاً، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾^(٤)، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٥)، وقد تصدى ابن حزم لهذه الشبهة ورمى المعتزلي بالكفر والزندقة وأن مرده الحط من الإسلام ونبي الله ﷺ والطعن في النبوة، وذكر أنه تثبت من كفر هذا الرجل، وأن فحوى قوله أنه حتى في القمل والبراغيث والبق وكل نوع من أنواع الحيوان رسلاً^(٦).

وأجاب العلامة ابن حزم بقوله: «قال أبو محمد رحمه الله: وهؤلاء لاحجة لهم

(١) رواه البخاري ٦٧٥/٢، رقم: ١٨١٤، باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢ .

(٣) نفع الطيب ٦٨/٢ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨ .

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٤ .

(٦) انظر الفصل ١٤٩/١ .

فيه ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسل﴾^(١)، وإنما يخاطب الله بالحجة من يعقلها، قال الله تعالى: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَاب﴾^(٢).

وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى إنما خص بالنطق الذي هو التصرف في العلوم ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، والترف في الصناعات على اختلافها - الإنسان خاصة - وأضافنا إليهم بالخبر الصادق، - وببراهين أيضاً ضرورية - الملائكة، وإنما شارك من ذكرنا سائر الحيوان في الحياة خاصة، وهي الحس والحركة الإرادية فعلمنا بضرورة العقل أن الله تعالى لا يخاطب بالشرائع إلا من يعقلها ويعرف المراد بها، وبقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٣) ووجدنا جميع الحيوان حاشا الناس يجري على رتبة واحدة في تصرفها في معاشها وتناسلها لا يجتنب منها واحداً شيئاً يفعلُه غيره . هذا الذي يدرك حساً فيما يعاشر الناس في منازلهم من المواشي والخيول والبغال والحمير والطير وغير ذلك . وليس الناس في أحوالهم كذلك ، فصح أن البهائم غير مطالبة بالشرائع وبطل قول ابن حابط ، وصح أن معنى قوله تعالى : ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أي أنواع أمثالكم ، إذ كل نوع يسمى أمة . أن معنى قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٤) إنما عنى تعالى تلك الأمم من الناس ، وهم القبائل والطوائف . ومن الجن لصحة وجوب العبادة عليهم^(٥) .

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٧٩ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(٤) سورة فاطر، الآية : ٢٤ .

(٥) الفصل ١/١٤٩ ، ١٥٠ .

- شبهة أن النبي ﷺ ليس رسولاً الآن وإنما كان رسولاً:

ذكر ابن حزم رحمه الله أن هذا قول فرقة مبتدعة تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو الآن رسول الله ﷺ ولكنه كان رسول الله ﷺ وهذا قول ذهب إليه الأشعرية^(١).

وقد رد عليهم مطولاً وأورد اعتراضات وافتراضات وأجاب عليها بما يكفي ويشفي، وسنورد هنا أهم ما جاء في رده، قال مخبراً عن قولهم وراداً: «وأخبرني سليمان بن خلف وهو من مقدميهم اليوم أن محمد بن الحسن ابن فورك الأصبهاني على هذه المسألة قتله بالسهم محمود بن سبكتكين صاحب ما دون النهر من خراسان رحمه الله.

قال أبو محمد: وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله ولرسوله ﷺ ولما أجمع عليه جميع أهل الإسلام منذ كان الإسلام إلى يوم القيامة، وإنما حملهم على هذا قولهم الفاسد أن الروح عرض^(٢)، والعرض يفنى أبداً، ويحدث ولا يبقى وقتين، فروح النبي ﷺ عندهم قد فُتيت وبطلت ولا روح له الآن عند الله تعالى. وأما جسده ففي قبره موات؛ فبطلت نبوته عندهم بذلك ورسالته.

قال أبو محمد: ونعوذ بالله من هذا القول، فإنه كفر صراح لا تردد فيه،

(١) المصدر السابق ١/١٦١.

(٢) هو ما يقابل الجوهر، ويطلق أيضاً على الكلي المحمول على الشئ الخارج عنه، ويسمى عرضاً ويقابله الذاتي، أو هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاءه بعد وجوده.

أو هو الموجود الذي يحتاج في بقاءه إلى موضع - أي محل يقوم به - كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحمله ويقوم به. انظر (التعريفات، ص ١٤٣، ١٨٨، ١٩٣، ٢٣٩). الصواعق المرسله ١/٢٢٧، ٣٣٩. دره تعارض العقل والنقل ١/٣٠٢، ٩٥/٣، ١٨٠.

ويكفي من بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله عز وجل به ورسوله ﷺ واتفق عليه جميع أهل الإسلام من كل فرقة وكل نحلة من الأذان في الصوامع كل يوم خمس مرات في كل قرية من شرق الأرض إلى غربها بأعلى أصواتهم، وقد قرنه الله تعالى بذكره: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فعلى قول هؤلاء الموكلين إلى أنفسهم يكون الأذان كذباً، ويكون من أمر به كاذباً، وإنما يجب الأذان على قولهم أشهد أن محمداً كان رسول الله. وإلا فمن أخبر عن شيء كان وبطل أنه كائن الآن فهو كاذب، فالأذان كذب على قولهم، وهذا كفر مجرد، وكذلك ما اتفق عليه جميع أهل الإسلام بلا خلاف من أحد منهم من تلقين موتاهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإنه باطل على قول هؤلاء، وكذلك ما عمل به رسول الله ﷺ مدة قتاله الأمة، وأمره عن الله عز وجل بأن يعمل به بعده أبداً، وأجمع على القول به والعمل جميع أهل الإسلام من أول الإسلام إلى آخره، ومن شرق الأرض إلى غربها إنهم وجنهم ييقن مقطوع به دون مخالف فيما خرج به الدماء من التحليل إلى التحريم، أو إلى إلغن بالجزية من أن يعرض على أهل الكفر أن يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيجب على قول هؤلاء المخدولين أن هذا باطل وكذب، وإنما كان يجب أن يكلفوا أن يقولوا محمد كان رسول الله، وكذلك قوله تعالى ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (١). وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ (٢). وقوله تعالى: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ (٣).

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٦٩ .

فسماهم الله تعالى رسلاً وقد ماتوا، وسماهم نبيين ورسلاً وهم في القيامة، وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النص من قول كل مصل فرضاً أو نافلة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فلو لم يكن روحه عليه السلام موجوداً قائماً لكان السلام على العدم هذراً^(١).

- شبهة حول النبوة بالتشكيك في رجم الشياطين - حفظاً للنبوة - وانقطاعاً.
أورد هذه الشبهة عن بعض الملاحدة الإمام القرطبي عند شرحه لآيات سورة الجن: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾^(٢). وأجاب عليها فقال يرحمه الله:

«فإن قيل إن هذا القذف إن كان لأجل النبوة فلم دام بعد النبي ﷺ فالجواب أنه دام بدوام النبوة، فإن النبي ﷺ أخبر ببطلان الكهانة فقال «ليس منا من تكهن» فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن إلى تسمعها وعادت الكهانة، ولا يجوز ذلك بعد أن بطل؛ ولأن قطع الحراسة عن السماء إذا وقع لأجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين ولم يؤمن أن يظنوا أن الكهانة إنما عادت لتناهي النبوة؛ فصح أن الحكمة تقضي دوام الحراسة في حياة النبي عليه السلام وبعد أن توفاه الله إلى كرامته ﷺ وآله»^(٣).

- شبهة الطعن في نبوة النبي ﷺ بجمعه تسع نساء في عصمته:
هذه الشبهة قديمة حديثة، يثيرها أعداء الإسلام لينفروا عنه وليصدوا عن سبيل الله، وفحواها ذكره الشيخ الترجمان في رده على النصاري إذ يعيب النصاري على المسلمين أن يتزوج نبيهم، وأن يجمع في عصمته تسع نساء.

(١) الفصل ١٦٢، ١٦٣

(٢) سورة الجن، الآية : ٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٦/١٥.

وأجابهم الشيخ الترجمان أن هذا من ابتداع رهبان النصارى، حيث أنكم متفقون على أن كتبكم نصت أن داود عليه السلام تزوج مئة امرأة، وسليمان عليه السلام تزوج ألف امرأة، وكذلك أن جميع الأنبياء تزوجوا وولد لهم أولاد غير يحيى وعيسى، إنكم لم تدينوا بما شرعه الله في التوراة والإنجيل من الزواج^(١) .

الفصل التاسع : نبوة النساء :

اختلف أهل العلم في مسألة نبوة النساء ومنهم علماء الأندلس، كما علماء المسلمين جميعاً، وكانت هذه المسألة شديدة الحساسية لا يحب الأندلسيون إثارتها أو الكلام فيها، لا سيما عند العامة، فهذا أبو عبيدة الخزرجي^(٢) في رده على النصراني مررور

(١) انظر تحفة الأريب، ص ٢٤٠، ٢٤٢ .

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الحق الأنصاري الخزرجي الساعدي، ينتسب إلى سعد بن عبادة، الصحابي رضي الله عنه . ولد بقرطبة سنة تسع عشرة وخمس مئة (٥١٩هـ)، كان مشهوراً في شبابه بالذكاء والحفظ والنبل، حافظاً للحديث متمكناً في الرواية، أديباً، له إلمام بالتواريخ، تنقل في عدة حواضر أندلسية ومغربية، وقيل إن له مشاركة بوجه ما في بعض الفتن التي انتابت قرطبة، ثم أسر لدى النصارى عام (٥٤٠هـ) في طليطلة، وبقي في الأسر، زهاء سنتين وعمره في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ثم رحل إلى العدو . ومن مصنفاته:

آفاق الشموس وأعلاق النفوس .

إشراق الشموس (مختصر آفاق النفوس).

نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه .

مقام المدرك في إفحام المشرك .

قصد السبيل في معرفة آيات الرسول .

(مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان).

وغيرها من المصنفات . توفي رحمه الله بفاس، وقد كف بصره عام اثنين وثمانين وخمس مئة

(٥٨٢هـ) انظر (التكملة لكتاب الصلة ١/٧٦ رقم /٢٢٣ . دولة الإسلام في الأندلس

ق ٣/٢٠١، الديباج المذهب ١/ ٤-٦) .

الكرام على هذه المسألة، وكأنه يميل إلى ضد القول بنبوة النساء، إذ هما من أعجب الأشياء حيث يؤمنون بنبوة مريم وحنة وهما امرأتان، وينكرون نبوة النبي ﷺ .
ورد الخزرجي بأن هذا لم يرد في كتاب ولا معجزة ، ولم تذكر في كتب الأنبياء، ثم تعجب من إثباتهم نبوة من ليس بنبي ولم ينص عليه^(١) .
ويذكر ابن حزم أنه حدث في هذه المسألة تنازع عظيم لا يعلمه إلا في قرطبة، وأن جماعة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة وبدعت من قال بذلك^(٢) .
كما يذكر الحميدي في جذوته حادثة تصور كراهة الأندلسيين لمن تكلم في ذلك، فعند ترجمته للفقهاء محمد بن وهب القبري، جد أبي الوليد الباجي لأمه، أنه تفقه في القيروان، ورجع إلى الأندلس «فأظهر شيئاً من ذلك كالكلام في نبوة النساء، ونحو هذه المسائل التي لا يعرفها العوام، فشنع بذلك عليه، واتفق له بذلك أسباب اختلاف وفرقة»^(٣) .

ومع كل ما ذكر من كراهة الأندلسيين لذلك فقد تكلم علماء كبار من الأندلسيين على نبوة النساء ما بين مثبت ونافٍ، كأمثال ابن عطية وابن حزم والقرطبي المفسر .
فابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾^(٤) يميل من طرف جلي إلى عدم القول بنبوتها فيقول: «قوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ صفة ببناء مبالغة من الصدق ويحتمل أن يكون من التصديق، وبه سمي أبوبكر الصديق رضي الله عنه لتصديقه، وهذه الصفة لمريم تدفع قول من قال: هي نبيه وقد يوجد في صحيح الحديث قصص قوم

(١) انظر مقامع الصليبان، ص ٢١٣ .

(٢) انظر الفصل ١١٩/٥ .

(٣) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ١/١٥٠، وانظر كذلك الصلة ٢/٩٢٧، بغية الملتبس

في تاريخ علماء الأندلس ١/١٦٩ .

(٤) سورة المائدة، الآية : ٧٥ .

كلمتهم ملائكة في غير ما فن، كقصّة الثلاثة: الأقرع والأعمى والأبرص وغيرهم، ولا تكون هنالك نبوة، فكذاك أمر مريم»^(١).

ويشدد ابن حزم على صحة نبوة النساء المتعددات، ويفند قول من نفى عنهن النبوة، وأن من استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، فليس له دليل، وإنما الدليل عليه: لأن الله ذكر الرسالة هنا ولم يذكر النبوة، وضرب أمثلة لنبيات مثل مريم التي نبأها الله فهي نبية أخبرت بالغيب من قبل الملائكة، وكل من وقع له ذلك فهو نبي، ومثل أم إسحاق التي نبأها الملائكة وبشرتها بالغيب فهي نبوة صحيحة، وكذا أم موسى نبوة صحيحة.

وفند قول من قال: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ أنه دليل عدم نبوتها فقد وصف الله النبي يوسف بأنه صديق وهو مع ذلك رسول الله^(٣).

وكذلك الإمام القرطبي المفسر يرى أن نبوة النساء حقيقة ثابتة لا مرأى فيها فيقول: «والصحيح أن مريم نبية: لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك كما أوحى إلى سائر النبيين»^(٤).

وقال بعد كلام مطول حول معنى كمال النساء: «فظاهر القرآن والأحاديث يقتضي أن مريم أفضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة، فإن الملائكة قد بلغتها الوحي عن الله عز وجل بالتكليف والإخبار والبشارة كما بلغت سائر الأنبياء فهي إذن نبية»^(٥).

(١) المحرر الوجيز ٥٣٠/٤

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

(٣) انظر الفصل ١١٩/٥، ١٢٠، ١٢١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٨٣/٤.

(٥) المصدر السابق الجزء والصفحة.

ويفند بعض الأقوال التي استدلت بها النفاة لنبوة النساء كآية الصديقية لمريم ومخاطبة جبريل لجمع من الصحابة، ولم يكونوا بذلك أنبياء، فيقول: «كذلك شأن مريم لم تنل شهادة الله في التنزيل بالصديقية والتصديق بالكلمات إلا لمرتبة قريبة دانية . ومن قال لم تكن نبية قال إن رؤيتها للملك كما رؤي جبريل عليه السلام في صفة دحية الكلبي حين سؤاله عن الإسلام والإيمان ولم تكن الصحابة بذلك أنبياء والأول أظهر وعليه الأكثر والله أعلم»^(١).

ولكنه لم يشير إلى آية أم موسى، وهل هي نبية أم لا؟ وهل هو وحي كوحي الأنبياء أو وحي إلهام؟ وهل بالضرورة كل من كلمته الملائكة أو جبريل يعد نبياً؟ أم النبوة لمن أُوحي إليه بشرع، وهؤلاء لم يوح إليهم بشرع. والله أعلم.

الفصل العاشر : نبوة الخضر :

الخلاف في نبوة الخضر قديم حديث، والذي عليه جمهور المسلمين أنه نبي موحى إليه، وأشهر من خالف في ذلك طوائف من الصوفية وطوائف من الشيعة؛ ليدلوا على صحة مذهبهم، فالصوفية تقول: إن الخضر ولي وليس بنبي؛ لتأييد عقيدتهم أن الولي أفضل من النبي، وأن النبي موسى عليه السلام أرسله الله ليتعلم من الولي الخضر. وطوائف من الشيعة تقول إنه ولي؛ لتأييد مذهبهم أن الأئمة المعصومين أفضل من الأنبياء، إذ تعلم النبي موسى من ولي، مما يدل على صحة مذهبهم في تفضيل الأولياء الأئمة على الأنبياء.

وعلى قول الجمهور بنى العلماء في الأندلس عقيدتهم في الخضر أنه نبي نبوة صحيحة، ولم أجد من خالف في ذلك - على كثرة ما قرأت في كتبهم رحمهم الله - .

(١) المصدر السابق ٨٤/٤ .

فابن عطية يبين سبب تسميته وينعته بالنبوة : «وسمي الخضر خضراً؛ لأنه جلس على فروة يابسة فاهتزت تحته خضراء، روي ذلك عن النبي ﷺ»^(١)، و(الرحمة) - في هذه الآية - النبوة»^(٢) .

ويثبت أبو العباس القرطبي نبوة الخضر ويبين أن اسمه كان: بلياً بن ملكان، على ما قاله بعض المفسرين، ويبين سبب تسميته بالخضر ويؤيده بحديث الترمذي الآنف^(٣) . ويفيض القرطبي المفسر ابن فرح في مسألة الخضر ونبوته وتسميته وحياته وموته، فينقل عن بعض العلماء أن اسمه أرميا^(٤) أو أنه إلياس أو اليسع^(٥) . ويثبت تسميته ونبوته الصحيحة على الراجح. فيقول: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل هو عبد صالح غير نبي والآية تشهد بنبوته ؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحى وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم ولا يتَّبَع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي، وقيل كان ملكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن، والأول الصحيح والله أعلم . قوله تعالى ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾^(٦) [سورة الكهف، الآية : ٦٥] الرحمة في هذه الآية النبوة، وقيل النعمة^(٧) .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ١٠٨/٤١، ذكر السبب الذي من أجله سمي الخضر خضراً، رقم: ٦٢٢٢ . والترمذي ٢١٣/٥، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الكهف، رقم: ٣١٥١ وقال حديث حسن صحيح .

(٢) المحرر الوجيز ٣٥٧/٩ .

(٣) المفهم ١٩٥/٦ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/٣ .

(٥) انظر المصدر السابق ٣٣/٧ .

(٦) انظر المصدر نفسه ١٦/١١ .

(٧) سورة الكهف، الآية : ٦٥ .

ويستدل على نبوة الخضر كذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾^(١).

ويعقب: «يقتضي أن الخضر نبي»^(٢).

الفصل الحادي عشر : تعيين الذبيح :

هذه المسألة من المسائل المختلف فيها جداً من زمن الصحابة إلى يومنا هذا.

وقد اختلفت أقوال العلماء في تعيين الذبيح هل هو إسماعيل أم إسحاق.

وعلماء المسلمين في الأندلس اختلفوا فيه أيضاً واهتموا به في كتبهم، بل

أفرد له ابن العربي كتاباً سماه: «تبيين الصحيح في تعيين الذبيح»^(٣)، كما في

ترجمته. والأغلب فيهم على ترجيح إسماعيل عليه السلام، ومنهم قلة ذهبوا إلى أنه

إسحاق عليه السلام.

وممن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق عليه السلام الإمام القرطبي المفسر، وقد

أطال في بحث المسألة وتصدى للرد على من قال إنه إسماعيل.

قال يرحمه الله في الكلام على إسماعيل وإسحاق: «وهو الذبيح في قول.

وإسحاق وأمه سارة وهو الذبيح في قول آخر وهو الأصح على ما يأتي»^(٤).

وفي تفسيره لسورة الصافات أطنب في ذكر أدلة الفريقين في صفحات

مطولات^(٥) فتد أقوال العلماء القائلين بأنه إسماعيل عليه السلام ورجح أنه إسحاق

وقال: «إلا أنه قد علم أن قوله وإسحاق ويعقوب داخل في العبودية وقد استدلل بهذه

(١) سورة الكهف، الآية : ٨٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٩/١١ .

(٣) انظر نفع الطيب ٣٥/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٣٥/٢ .

(٥) انظر المصدر السابق ١١٥-٩٩/١٥ .

الآية من قال إن الذبيح إسحاق لا إسماعيل وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الإعلام بمولد النبي عليه السلام»^(١).

وقد خالفه في ذلك أكثر علماء الأندلس وكبارها، ومنهم ابن عطية الذي يكثر القرطبي النقل عنه في جامعه. إذ ذهب ابن عطية إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، فقال يرحمه الله: «... وإبراهيم عليه السلام هو الخليل، وإسماعيل عليه السلام ابنه الأكبر وهو الذبيح في قول المحققين وهو أبو العرب»^(٢).

ويبسط القول في موضع آخر، ويذكر أقوال أهل العلم من أن إسماعيل هو الذي «أسكنه أبوه بواد غير ذي زرع، وهو الذبيح في قول الجمهور، وقالت فرقة: الذبيح إسحاق عليه السلام»^(٣)، ثم رتب الأدلة على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام استنباطاً من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وذكر المسألة أبو الوليد بن رشد (الجد) وأورد أن مالك بن أنس كان يرجح أن الذبيح إسحاق، وذكر جملة من الصحابة قالوا به، ولكنه ذكر أدلة الفريقين على وجه التساوي، ومال إلى أن الذبيح إسماعيل عليه السلام. فقال بعد كلام طويل عن الفريقين: «والذي ذهب إليه الفضل من أنه إسماعيل هو الأظهر، وقد اختلف في ذلك اختلافاً كثيراً، والله أعلم»^(٤).

الفصل الثاني عشر : عصيان الأنبياء وعصمتهم :

الأنبياء هم الوسطة بين الله وخلقهم في إبلاغهم لرسالة ربهم، وهم بذلك محل إجلال وتعظيم وتترزه، وهم محل طهارة وتقديس وإكبار في نظر الناس ؛ لأنهم

(١) المصدر نفسه ١١٥-٩٩/١٥ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٩٣/٤ .

(٣) المصدر السابق ٤٨٦/٩ .

(٤) البيان والتحصيل ٥٧/١٨ .

مصدر الوحي الإلهي. فهل تنخرم هذه المكانة العليا والمنزلة العظمى لاجتراحهم الذنوب والمعاصي والكبائر؟ وهل هم معصومون عن جميع الصفائر والكبائر والخطرات والنيات لعمل المعاصي والذنوب؟

ولاشك أن اقتراف المعاصي والكبائر يزيل هيبة النبوة عنهم ويجعل الناس في شك من وحي ربهم ورسالاته، ولذا كانت عصمة الأنبياء أمراً من الأهمية بمكان لحفظ وحي الله تعالى، ولكن هل اتفق الناس في ذلك أم اختلفوا؟ وما قول فقهاء الأندلس في بيان ذلك وشرح أقوال الناس في مسألة مهمة كهذه؟

يعرف الإمام القرطبي المفسر العصمة بأنها المنعة^(١)، وأن العصمة سميت عصمة؛ لأنها تمنع من ارتكاب المعصية^(٢).

ويذهب الإمام ابن حزم في الفصل إلى استعراض أقوال أهل الفرق والملل، فذكر قول الكرامية والأشعرية بجواز جميع الكبائر والمعاصي عليهم، وعقب بأن هذا قول اليهود والنصارى، وأن النبي معصوم في التبليغ عندهم فقط، وقال إن هذا كفر مجرد وردة عن الإسلام^(٣).

كما ذكر قول الخوارج والشيعة والمعتزلة، وهو أن الأنبياء معصومون لا يجوز أبداً أن يقع منهم معصية أبداً بعمدٍ صغيرة ولا كبيرة، وقال: «هذا قولنا الذي ندين الله تعالى به»^(٤)، ثم أورد الأدلة على ذلك.

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٥٨/٤.

(٢) انظر المصدر السابق ١٨٤/٩.

(٣) انظر الفصل ٥/٤.

(٤) الفصل ٤/٦.

وفي موضع آخر رد على حجة من قال بقولهم في جواز ذلك على الأنبياء،
وشنع على الباقلاني الأشعري في قوله، وأنه شرك مجرد وقدح في النبوة^(١)، كما
شنع على بعض الأشعرية كالسمناني والباقلاني في قولهم، وأنها من كفرياتهم
الصلح، إذ أنهم جوزوا على النبي الكفر والزنا واللباطة والبغاء والسرقة، فأَي كيد
للإسلام أعظم من قولهم، ورمى الباقلاني بأنه مستخف عيار^(٢).
وذكر الإمام ابن العربي في عواصمه أن الأنبياء معصومون، ولم يفصل في
ذلك، لكنه انتقد عقيدة الروافض في قولهم بعصمة الأئمة، إبان رحلته لبلاد الشام،
ورد عليهم في مناظرات ذكرها^(٣)، وصرح في شرحه للموطأ بعصمتهم عليهم
السلام، وكشف عن كتب له لم تعرف، فقال: «قد بينا في المتوسط والمقسط
وغيرهما القول في عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من الذنوب، وبيننا في
كتاب المشكلين، تأويل ما ورد في ذلك في القرآن ظاهراً، ورددناه إلى أصل العصمة
بالدليل وهو الذي ندين الله تعالى به ونجزم القول على أن الكذب لا يجوز أن يقع
منهم لا سهواً ولا عمداً : لأن القول هو الذي يتبين به الشرع، فلو جاز أن يتطرق إليه
لما وقعت الثقة فيه بالبيان»^(٤).

وذكر في موضع آخر عصمتهم بعد النبوة حسب ما بينه في كتاب الأصول^(٥).

كما ذكر العصمة عبد الواحد المراكشي وادعاء ابن تومرت لها حيث فتن به

(١) المصدر السابق ٤ / ٥٢، ٥٣ .

(٢) انظر المصدر نفسه ٥ / ٩٤، ٩٥ .

(٣) انظر آراء ابن العربي الكلامية العواصم من القواصم ١ / ١٢٨، ١٢٩، ٥٩/٢ وما بعدها .

(٤) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ١ / ٢٤٨ .

(٥) انظر المصدر السابق ٣ / ١٠٦٠ .

كثير من أهل المغرب والأندلس، في سياق إنكاره للبدعة الشنيعة، وتبرؤ يعقوب بن يوسف الموحي الحاكم للأندلس والمغرب آنذاك منها رحمه الله^(١) .

وقال الإمام القرطبي أبو العباس في شرحه لمسلم: «اختلف الناس في عصمة الأنبياء من الذنوب اختلافاً كثيراً، والذي ينبغي أن يقال إن الأنبياء معصومون مما يناقض مدلول المعجزة عقلاً كالكفر بالله تعالى والكذب عليه والتحريف في التبليغ والخطأ فيه ومعصومون من الكبائر وعن الصغائر التي تزري بفاعلها»^(٢) .

وفي موضع آخر أبان ذلك وأشار إلى قول بعض الطوائف فيمن خالف «وذهبت شذمة من الروافض إلى تجويز كل ذلك عليهم إلا ما يناقض مدلول المعجزة»^(٣) .

وذكر القرطبي المفسر اختلاف العلماء والفرق في وقوع الصغائر منهم عدا الكبائر، فهم معصومون منها^(٤)، وأن العقل يشهد أن الأنبياء «معصومون بعد النبوة عما يؤدي إلى الإخلال بالفرائض واقتحام الجرائم»^(٥) . وأن العصمة واجبة للأنبياء^(٦)، وأنهم معصومون في البلاغ عن الله^(٧) .

وفي بيانه لهم يوسف المذكور في قصته تكلم كثيراً على هذه العقيدة، وذكر أن النبي قد يهيم بالمعصية ولا يفعل^(٨) .

(١) انظر المعجب، ص ٣٦٨، ٣٦٩ .

(٢) المفهم ١ / ٤٣٤، وانظر كذلك ٢ / ٧٨ .

(٣) انظر المصدر السابق ٢ / ٩٢، وانظر كذلك ٢ / ٣٩٩ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٠٨، ٣٠٩ .

(٥) المصدر السابق ١ / ٣٠٦ .

(٦) انظر المصدر نفسه ٩ / ١٦٦ .

(٧) انظر المصدر نفسه ٦ / ٢٤٣ .

(٨) انظر المصدر نفسه ٩ / ١٦٦ .

الفصل الثالث عشر : المفاضلة بين الأنبياء :

المفاضلة بين الأنبياء على الإجمال مما دل عليه كتاب الله تعالى كما في آية البقرة، والأنبياء درجات في المنزلة والفضل وإن كانوا سواء في أصل النبوة، ولكن منهم من أرسل، والرسول - لا شك - أفضل من النبي.

وقد بين علماء الأندلس هذه المسألة وأجابوا على ما أشكل من الجمع بين الآية التي ذكرت التفضيل وبين الأحاديث التي نهت عن التفضيل.

استدل الإمام ابن عطية رحمه الله على جواز التفضيل بين الأنبياء على وجه الإجمال بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١).

قال: «ونص الله في هذه الآية على تفضيل بعض الأنبياء على بعض وذلك في الجملة دون تعيين مفضل، وهكذا في الأحاديث عن النبي عليه السلام»^(٢). ثم أوضح النهي الشديد عن التفضيل الخاص مستدلاً بحديث: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»^(٣).

وكشف عن الظاهر المتوهم في التعارض بين حديث: «أنا سيد ولد آدم»^(٤)، وحديث:

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢ / ٢٧٢ .

(٣) رواه البخاري ٨٤/٤ (٥٩) كتاب بدء الخلق (٧) باب إذا قال أحدكم آمين.. ومسلم ١٥١/١ (١) كتاب الإيمان (٧٤) باب الإسراء ..، رقم: ٢٦٦ . وأبو داود ٢١٧/٤ كتاب السنة، باب في

التخيير بين الأنبياء، رقم: ٤٦٦٩ بيعضه عنه. والبيهقي في دلائل النبوة ٤٩٥/٥ بيعضه .

(٤) رواه مسلم ١٧٨٢/٤، كتاب الفضائل، باب تفضيل رآه ﷺ على جميع الخلائق، رقم: ٢٢٧٨ .

وابن حبان في صحيحه ١٣٥/١٤، ذكر الخبر المصرح بأن هذا القول إنما زجر عنه من أجل

التفاخر، رقم: ٦٢٤٢. والترمذي في سننه ٣٠٨/٥، كتاب التفسير، باب ومن سورة بني

إسرائيل، رقم: ٣١٤٨ .

«لا تفضلوني على موسى»^(١)، بكلام فحواه وجهان:

الأول: أن حديث سيد ولد آدم متأخر في التاريخ، وأنه علم علمه من الله تعالى لم يكن علمها وقت المقالات الآخر.

الثاني: أن النبي ﷺ نهى عن التفضيل بين شخصين مذكورين، وذهب مذهب التواضع، ولم يزل سيد ولد آدم . وهذا أوجه عند ابن عطية^(٢).

ويرى الحافظ ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي في شرحه للأحاديث الآتية أن «الفضيلة قد وجدت بينهما في عالم الحس : لأنه عليه السلام رفع حتى رقى السبع الطباقي، ويونس عليه السلام ابتلعه الحوت في البحر» ثم عقب بأنه على التفصيل، فهما في القرب من الله سواء العالي عند العرش أو من في قعر البحر^(٣). وهذا فيه نفس صوفي ظاهر، وقد رد على هذا القول الإمام ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية^(٤).

كما استدلل الحافظ أبو العباس القرطبي على تفاضل الأنبياء بالآية الآتية من سورة البقرة، وقال: «فتفاضلهم بحسب ما وهب لكل واحد منهم من تلك الصفات وشرف به من تلك الحالات»^(٥). ثم أورد ما يتوهم من التعارض بين حديث : «لا تخيروا بين الأنبياء»^(٦)، مع الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمُ﴾، ورد على من قال إن

(١) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣١٥/٤، كتاب الكراهة، باب التخيير بين الأنبياء .

(٢) انظر المحرر الوجيز ١٩٢/١٠، ١٩٣ .

(٣) انظر بهجة النفوس ٣ / ١٧٦، ٢٠٤ .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ١ / ١٦١ : تحقيق د. التركي .

(٥) المفهم ٦ / ١٧ .

(٦) رواه البخاري ٨٥٠/٢، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والملازمة والخصومة بين

المسلم واليهودي، رقم: ٢٢٨١. ومسلم ١٨٤٥/٤، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى عليه

السلام، رقم: ٢٣٧٤ .

الآية ناسخة : إذ لا يقال ذلك إلا إذا تعذر الجمع، والجمع بين الآية والحديث ممكن. ثم أورد ثلاثة من أوجه الجمع، ورجح الثالث : وهو أن المنع من تفضيل معين من الأنبياء على معين، أو على ما يقصد به معين^(١).

كما تكلم القرطبي ابن فرح المفسر على التفضيل بين الأنبياء وذكر أوجه الجمع بين الآية والأحاديث، منها :

- أنه قبل أن يوحى إليه قال ذلك فلما علم بين بالحديث.

- أنه من طريق التواضع.

- أن الخوض في ذلك ذريعة الجدل مما يؤدي إلى ذكرهم بما لا ينبغي.

ثم رجع أن التفضيل حاصل بالآيات الدالة التي تبين أحوال بعض المتفاضلين ، منها الكلام والدرجات، وإن كانوا كلهم أفاضل، كالصحابة مشتركون في الصحبة متفاضلون في المنزلة، وكذلك الأنبياء مشتركون في النبوة متفاضلون في المنزلة والدرجة^(٢).

الخاتمة :

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى، أما بعد فأحمد الله تعالى وأثني عليه بما هو أهله، وأشكره على سائر نعمائه وسابغ فضله على أن وفقني لكتابة هذا البحث والسهر عليه لخدمة دينه وشرعه، وقد خلصت في خاتمته إلى نتائج كثيرة أورد أهمها، ومن ذلك :

١ - أن علماء الأندلس أولوا هذا الركن الركين جل اهتمامهم في كتبهم ودروسهم ورسائلهم.

(١) انظر المفهم ٦ / ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢٦٢ - ٢٦٥ .

- ٢ - أن علماء الأندلس بينوا أهمية الإيمان بالنبوة والرسالة، وأنها فرض واجب لا يتم الإيمان إلا بها.
- ٣ - أن علماء الأندلس بينوا عظم ثمرة النبوة وأنها اصطفاء من الله تعالى لبعض عباده.
- ٤ - أن علماء الأندلس بينوا الفروق بين النبوة والرسالة وأن الرسالة أفضل من النبوة وفوقها.
- ٥ - أن علماء الأندلس بينوا أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة وفق ضوابطها.
- ٦ - أن علماء الأندلس بينوا أن النبوة والرسالة ختمت بالنبي محمد ﷺ، كما ردوا على الكذابين المدعين.
- ٧ - أن علماء الأندلس ردوا على المشبهات حول النبوة وختمها بمحمد ﷺ.
- ٨ - اختلف علماء الأندلس في نبوة النساء - وهي لديهم مسألة شديدة الحساسية - والأغلب عليهم عدم ترجيح ذلك عدا ابن حزم والقرطبي وغيرهما.
- ٩ - أثبت العلماء الأندلسيون نبوة الخضر ورجحوا ذلك.
- ١٠ - اختلف علماء الأندلس في تعيين الذبيح فمنهم من ذهب إلى أنه إسحاق، ومنهم من رجع أنه إسماعيل عليهما السلام.
- ١١ - تكلم علماء الأندلس على جواز التفضيل بين الأنبياء إذا كان على وجه العموم، وعدم جوازه إذا كان للعصبية وذكرهم بما لا ينبغي.

المصادر والمراجع

- آراء ابن العربي الكلامية، (العواصم من القواصم) : تحقيق عمار طائبي، طبعة الجزائر.
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب : تحقيق محمد عبد الله عنان - ط ٢، مكتبة الخانجي، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .
- الإحكام في أصول الأحكام للإمام علي بن أحمد بن حزم الأندلسي - ط ١ - ٠ - القاهرة : دار الحديث، ١٤٠٤هـ .
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض . شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، طبع اللجنة المشتركة بين دولتي الإمارات والمغرب .
- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم . صديق حسن القنوجي : تحقيق عبد الجبار زكار - ٠ - بيروت : دار الكتب العلمية .
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن حيان الضبي : تحقيق إبراهيم الأبياري - ٠ - ط ٢ - ٠ - دار الكتاب المصري؛ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).
- بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها . عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي، مخطوط أندلسي بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي (نواكشوط) رقم: ٣٩٧)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي دار الغرب الإسلامي (بيروت، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، مكتبة آل حبت، شنقيط).
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي أبو عبد الله : تحقيق ليفي بروفنسال، إحسان عباس - ٠ - بيروت : امبريسي هوثي .

- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة لأبي الوليد أحمد بن محمد بن رشد (الجد) ؛ تحقيق محمد صبحي، وآخرين حسب الأجزاء ٠- ٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٧م .
- تاريخ الفكر الأندلسي . آنخل جنثالث بالينثيا ؛ ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية .
- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان ؛ تحقيق عمر الداعوق ٠- ١، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- تركة النبي . حماد بن إسحاق البغدادي، د. أكرم ضياء العمري ٠- ١، ط ١، ١٤٠٤هـ .
- التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبى ٠- ٢، دار الكتاب العربى، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- التعريفات . علي بن محمد الجرجاني ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ٠- ١، ط ١ - بيروت : دار الكتاب العربى، ١٤٠٥هـ .
- التكملة لوفيات النقلة . زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ؛ تحقيق بشار عواد، مطبعة الآداب في النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، و ٠- ٢، ط ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- التمهيد . يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ؛ تحقيق مصطفى العلوي، محمد البكري ٠- المغرب : وزارة الأوقاف، ١٣٨٧هـ .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربى ؛ بيروت : مؤسسة العرفان .
- الجامع الصحيح . محمد بن عيسى الترمذي ؛ مراجعة أحمد محمد شاكر، وآخرين ٠- بيروت : دار إحياء التراث الإسلامى .

- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري - ط ٢ - دار الكتاب المصري ؛ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري . د . عبد الحليم عويس - دار الاعتصام .
- ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه للشيخ محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي .
- الحلل الموشية لمؤلف مجهول ؛ تحقيق سيل زكار، عبدالقادر زمامه - الرباط، ١٩٧٩م؛ ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- درء تعارض العقل والنقل . أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية ؛ ت: محمد رشاد سالم - الرياض: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ .
- درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ؛ تحقيق محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان - ط ٤، مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . إبراهيم بن علي بن فرحون ؛ تحقيق د . محمد الأحمد، أبو النور - بيروت ؛ دار الكتب العلمية ؛ القاهرة ؛ وطبعة مكتبة دار التراث .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن بن بسام الشنتريني - بيروت ؛ دار الثقافة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م .
- الرد على ابن النغريلة، ضمن رسائل ابن حزم ؛ تحقيق إحسان عباس - ط ٢ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م

- الرسالة الوافية لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ؛ ت: د. محمد سعيد القحطاني ٠- ط ١، دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ .
- سير أعلام النبلاء . شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد، مكتبة الرسالة ٠- ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي علي بن علي؛ تحقيق عبد الله التركي، شعيب الأرناؤوط ٠- ط ٢ ٠- مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- شرح معاني الآثار . محمد بن سلمة الأزد الطحاوي ؛ تحقيق محمد زهري النجار ٠- ط ١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ .
- صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري ؛ تحقيق مصطفى البغا .
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م .
- الصلة لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ؛ تحقيق إبراهيم الأبياري ٠- القاهرة : دار الكتاب المصري؛ ط ١ ٠- بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- الصواعق المرسلة . محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله ٠- ط ٣، دار العاصمة ١٤١٨هـ .
- طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين محمد بن علي ؛ تحقيق علي محمد عمر ٠- ط ١ ٠- مصر : مكتبة وهبة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- الفصل في الملل والنحل لأبي محمد علي بن حزم؛ تحقيق محمد نصرو ، عبد الرحمن عميرة ٠- بيروت: دار الجيل، دار القلم .

- القبس في شرح موطأ مالك بن أنس للإمام أبي بكر بن العربي : تحقيق عبد الله ولد كريم - ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٢ م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . مصطفى القسطنطيني الرومي - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي : تحقيق المجلس العلمي بفاس - ط ٢ - المغرب : وزارة الأوقاف ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن النباهي : تحقيق مريم الطويل - ط ١ - بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- المستدرک على الصحيحين . محمد بن عبد الله الحاكم : تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- المسند للإمام أحمد بن حنبل - مصر : مؤسسة قرطبة (عن النسخة الميمنية) .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي : تحقيق محمد سعيد العريان ، بلا تاريخ .
- المعجم الكبير . سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم : تحقيق حمدي السلفي - الموصل : مكتبة دار العلوم والحكم ، ١٤٠٤ هـ .
- المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب . أحمد بن يحيى الونشريسي ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د . محمد حجي - بيروت : دار الغرب الإسلامي . مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي - شنقيط : مكتبة آل حبت .

- المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ؛ تحقيق محيي الدين مستو وغيره، ٠ - ط ١ - دار ابن كثير، ١٤١٧هـ .
- مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان لأبي عبيدة الخزرجي ؛ تحقيق محمد شامة، تحت مسمى: بين المسيحية والإسلام - القاهرة : مكتبة وهبه .
- المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حيان، حيان بن خلف القرطبي ؛ تحقيق محمود علي مكي - القاهرة: طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، وجزء من تحقيق إسماعيل العربي - ط ١ - المغرب : دار الآفاق الجديدة، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
- نفح الطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني ؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، طبعة جديدة ١٩٩٧م، وقديمة، ١٩٦٨م .
- نوارد الأصول في أحاديث الرسول . محمد بن علي الحكيم الترمذي ؛ تحقيق عبد الرحمن عميرة - ط ١ - بيروت : دار الجيل، ١٩٩٢م .
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان . أبو العباس أحمد بن خلكان ؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية ؛ وتحقيق إحسان عباس - بيروت : دار صادر، دار الثقافة، ١٩٦٨م).